



وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة عمار ثليجي الأغواط



كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي
ميدان اللغة والأدب العربي

مذكرة ماستر

بنية الشخصية في رواية "يوتوبيا"
لأحمد خالد توفيق

التخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

الشعبة: دراسات أدبية

إشراف الأستاذ الدكتور: ميهوب جعيرن

إعداد الطالبة: ندى جيهان بوقريية

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الدرجة العلمية	الصفة
فاطمة مختاري	أستاذ التعليم العالي	رئيسا
ميهوب جعيرن	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا
مصطفى نور الدين قارة	محاضر - أ-	مناقشا

السنة الجامعية: 1445-1446هـ / 2023-2024م



شكر وعرفان

لا يحلو الكلام إلا بذكر الرحمان

أول ما أتقدم به الشكر لله سبحانه وتعالى الذي أنار طريقي وسدد

خطاي وسهل عليّ كل الصعاب، والذي بفضلله تم هذا البحث

المتواضع..

كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى الأستاذ الدكتور "ميهوب جعيرن" على

الإشراف على هذا العمل، وعلى كل ما قدّمه لي من نصائح

وتوجيهات..

الشكر موصول إلى الأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة الذين شرفوني

بقبولهم مناقشة هذا العمل.

كما لا أنسى شكر كل الذين ساعدوني ولو بكلمة من قريب أو بعيد

جزاهم الله كل خير.

جميعان..

إهداء

إلهي لا يطيب الليل إلا بذكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك والآخرة إلا بعفوك والجنة إلا

برؤيتك جل جلالك

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد صلى

الله عليه وسلم

إلى روح جدي الطاهرة وأبي الثاني الذي علمني العلم والمعرفة رحمه الله وأسكنه الجنة

"بن عيسى صبايحي"

إلى من حملت اسمه بكل افتخار، داعمي بلا حدود وسندي وقوتي وملاذي بعد الله

فخري واعتزازي، أبي "ميهوب"

إلى من جعل الله الجنة تحت أقدامها، إلى القلب الحنون وسر قوتي ونجاحي

أمي "فاطمة"

إلى خير ما أهدتني الحياة، أختي "سلسبيل" و أخواي "محمد وأيوب"

أهدي ثمرة تعبي ونجاحي.

جميعهم..

مقدمة

تأثرت الرواية المصرية بالتغيرات الاجتماعية و السياسية و الثقافية، خاصة بعد ظهور النزعة المادية المستبدة، حيث لعب التطور العلمي الذي وصل إليه الإنسان دورا كبيرا في ظهور نوع جديد من الأدب وهو ما يطلق عليه بـ "أدب الخيال العلمي"، الذي أعطى تصورا خياليا للمجتمعات الإنسانية، ولقد لجأ الكاتب المصري "أحمد خالد توفيق" إلى توظيف هذا النوع من الأدب في أعماله ليسلط الضوء على القضايا الموجودة في العالم الواقعي، والتي بدورها تتعلق بثقافة المجتمع و بيئته و سياسته و دينه و نفسيته، وذلك من خلال خلق عوالم خيالية تنبأ بالمستقبل، مستعينا بفلسفة "اليوتوبيا و الديستوبيا" التي تقوم على المدن المثالية والمدن الفاسدة، وتنبع هذه الدراسة من أهمية انتشار الفكر اليوتوبي والديستوبي في العالم العربي، خاصة في المجتمع المصري و تأثير هذا الفكر على البناء الاجتماعي و التركيبية النفسية و الفكرية للفرد.

وبذلك توجهت إلى دراسة بنية الشخصية في رواية "يوتوبيا" للكاتب "أحمد خالد توفيق"، والتي تعالج موضوعا مهما، تتمثل في صراع الإنسان مع الوجود ومع ذاته، وانطلاقا من هنا وَجَدَت الشخصية في الرواية الفضاء الواسع الذي يسمح لها بالحركة للتعبير عن حياتها ومواقفها وعلاقاتها الاجتماعية وتأثير المجتمع على نفسيته وعلى سلوكها.

الدافع من هذه الدراسة هو دافع ذاتي وموضوعي:

الذاتي وتمثل في أهمية الشخصية باعتبارها أول شيء يجذبنا كقراء ويلامس روحنا، تأثر فينا لتعاطف معها أو العكس، والموضوعي هو معرفة مدى تأثير هذه الثنائية على سلوك الإنسان وحالته النفسية، وكذلك تسليط الضوء على طبيعة العلاقة القائمة بين الشخصيات وبين حالتهم الاجتماعية، وكيف أثر هذا في تركيبهم السيكولوجية، بالإضافة إلى دراسة الشخصية الروائية باعتبارها العنصر الجمالي الذي يربط بين كافة المكونات السردية.

طبعا هذه الدراسة في مجملها هي إجابة عن إشكالية رئيسية، تمثلت في، إلى أي مدى استطاع الكاتب أن يبني فنيا الشخصيات في هذا العمل الروائي في إطار عوالم خيالية، وقد نتج عن هذه الإشكالية مجموعة من الأسئلة الجزئية منها:

– ما مميزات هذه الشخصيات؟ وما علاقة بنائها بالحدث وبفضاء المكان والزمان؟

- ما هي أهم الأبعاد التي شكلت الشخص في رواية "يوتوبيا"؟ وكيف انعكس المكان على نفسية الشخصيات اليوتوبية و الشخصيات الديستوبية ؟

للإجابة على هذه الإشكالية ارتأيت أن المنهج البنيوي مناسب، وسبب ذلك راجع لطبيعة الموضوع، أما خطة البحث: فبعد المقدمة مدخل تناولت فيه لمحة عامة عن ثنائية اليوتوبيا و الديستوبيا و تضمن مفاهيم هاتين الفلسفتين و نشأتهما و أهم روادهما، أما الفصل الأول فكان فصلا نظريا عنونته بـ "بنية الشخصية الروائية" تطرقت فيه إلى كيفية دراسة بنية الشخصيات الروائية فنياً، من حيث طريقة رسمها و أنواعها و أبعادها و وظائفها و علاقتها بالمكونات السردية الأخرى، ثم الفصل الثاني المتمثل في الجانب التطبيقي بعنوان "بنية الشخصية في رواية يوتوبيا"، قدمت فيه مفهوم البنية و الشخصية و كذلك مفهوم بنية الشخصية الروائية، ثم دراسة تطبيقية للشخصيات اليوتوبية و الشخصيات الديستوبية و أبعادهم الفيزيولوجية و السيكولوجية و الاجتماعية والفكرية، و انعكاس المكان على نفسياتهم ثم الصراع القائم بين العالمين (الواقع والخيال)، وفي الأخير خاتمة تمثل أهم النتائج التي خرج بها هذا البحث، بعدها الملحق فيه السيرة الذاتية للكاتب وملخص الرواية.

اعتمدت في هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع الأساسية، كان أهمها رواية "يوتوبيا" لأحمد خالد توفيق، كتاب "بنية الشكل الروائي" لحسن بحراوي، كتاب "تقنيات الدراسة في الرواية (الشخصية)" لعبدالله خمار، كتاب "تحليل النص السردى تقنيات و مفاهيم" لمحمد بوعزة.

وكأي بحث لا يخلو من صعوبات، أهمها عدم تمكني من الحصول على مراجع أكثر ليكون بحثي أكثر ثراء.

وفي الختام أتوجه بخالص الشكر والتقدير لأستاذي الفاضل الدكتور "ميهوب جعيرن" الذي أشرف على هذا البحث وقدم لي يد العون وفتح أمامي آفاق البحث والاستكشاف والاطلاع، وأرجو أن يلقي هذا البحث القبول والتقدير.

مدخل: لمحة عامة عن ثنائية اليوتوبيا والديستوبيا

- تمهيد.

- أولا: مفهوم اليوتوبيا.

- ثانيا: مفهوم الديستوبيا.

تمهيد:

إن الإنسان بطبعه شغوف ومتعطش للجمال والفن والكمال والمثالية، وهذا ما دفع به إلى محاولة تجسيد فكرة العالم المثالي والفاضل (يوتوبيا)، ولا يوجد إنس إلا وتمنى الفردوس على أرض الواقع فأسمى أمنياته العيش في مجتمع راقى ومتحضر «فقد اقترنت بداية الحضارة البشرية بنموذج التمدن وخلق عالم يحمل القيم والمبادئ المثلى والراقي الحضاري والذي لا يكون إلا من خلال خلق مدينة فاضلة تطمح إليها البشرية»¹.

من جهة أخرى نبذ الإنسان الفساد والفقر والجهل والخراب وكل ما هو سلبي، وقد جعل اليونانيون القدماء للمنبوذين مكانا خاصا بهم يمثلهم ويعكس أفكارهم بعيدا عن مدينتهم الفاضلة، أطلقوا عليه تسمية "ديستوبيا" بمعنى المكان الفاسد.

¹ ينظر، ستيس ولتر، تاريخ الفلسفة اليونانية، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 1984م، ص193.

أولاً: مفهوم اليوتوبيا

1- في القرآن الكريم: اليوتوبيا أو المثالية أو المدينة الفاضلة أو الطُّوبَاوِيَّة، تعددت دلالات هذا المصطلح ووردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسَنَ مَا أَجْرُ﴾¹.

الكلمة الأقرب في اللفظ والمعنى لمصطلح يوتوبيا هي "طُوبَى"، وقد اختلف علماء التفسير في المعنى الذي تحمله هذه الكلمة، لكن اتفق على المعنى الذي مفاده أن القصد في "طُوبَى" هو العيشة الحسنة والحياة السعيدة التي أعدها الله عز وجل لعباده الصالحين في الجنة، لكن الجنة هي حقيقة مطلقة واليوتوبيا مجرد تصوير إنساني للجنة الموجودة في الخيال.

جاء في الميزان تفسير لهذا المصطلح مفاده: «طوبى على وزن فعلى بضم الفاء مؤنث أطيّب فهي صفة لمحدوف وهو على ما يستفاد من سياق الحياة أو المعيشة وذلك أن النعمة كائنة ما كانت إنما تغتبط وتهنأ إذا طابت للإنسان ولا تطيب إلا إذا اطمأن القلب وسكن ولم يضطرب»².

والمقصود من هذا التفسير أن الصفة الوحيدة القريبة للطُوبَى هي السعادة والعيشة الطيبة، الله تعالى وعد المؤمنين بالمكانة الفاضلة في الفردوس الأعلى، أما يوتوبيا هي مكان لا يمكن ادراكه في الواقع ولا يمكن تحقيقه.

أما عن مفهومها اللغوي فكلمة يوتوبيا كلمة دخيلة على اللسان العربي، وإذا قاربنا كلمة طوبى بكلمة يوتوبيا فهي: «الطُوبَى مصدر بمعنى الطَّيَّب أصله طُيِّبٌ، قُلبت الياء واوًا لسكونها بعد ضمة وجمع الطيبة بالكسر وهو من نوادر الجموع وتأنيث الأطيّب والغبطة والسعادة والخير والخيرة»³، «والطَّيَّب أيضا الأفضل من كل شيء، ويقال أيضا: طيبة اسم زمزم (طَيِّبَةٌ وَطَابَةُ والطَّيِّبَةُ والمَطْيِيبَةُ) المدينة (بلد طيبة) أي آمنة كثيرة الخير»⁴.

2- اليوتوبيا عند الفلاسفة اليونان: يعتبر اليونانيون القدماء أبرز من تميز بالفكر اليوتوبي وعلى رأسهم الفيلسوف "أفلاطون" في كتابه الشهير "الجمهورية"، وقد آمن بضرورة الأخلاق كما يعتقد أن تنظيماته متوافقة مع قانون الطبيعة، يقول في جمهوريته: «إن الحقيقة التي أقرتها الطبيعة هي أن المريض سواء أكان غنيا أم فقيرا، ينبغي

¹ سورة الرعد، الآية 29.

² محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج11، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، ط1997، ص359.

³ عبدالله البستاني، معجم البستان، ج2، المطبعة الأميركانية، بيروت، لبنان، 1930م، ص1484.

⁴ المرجع نفسه، ص1484.

عليه أن ينتظر على باب الطيب، وأن كل إنسان يحتاج إلى أن يكون محكوماً، يجب عليه أن ينتظر على باب القادر على الحكم»¹، فقد رأى أفلاطون عند تأسيسه لجمهوريته الفاضلة أن الطبيعة أوجدت بعض البشر ليكونوا حُكَّاماً والبعض الآخر محكومين، والغاية التي طمح إليها هي تحقيق عالم مثالي (عالم المثل)، الذي لا يقبل فيه سوى بالمثل العليا، وهذا يفسر سبب طلبه للشعراء من جمهوريته خوفاً من تلويثها.

أهم التنظيمات التي نادى بها أفلاطون في جمهوريته الفاضلة هي الحقيقة والجمال، وكل ما هو جميل ومثالي مُرَّحَّب به فيها، وأفلاطون هو أول من نظر لدولة يمكن القول عنها أنها مدينة فاضلة لأن الغاية من إنشائها هي تحقيق الحكمة والمعرفة والفضيلة واللذة.

يؤمن أفلاطون بأن الناس سيحيون حياة بسيطة وآمنة في المدينة الفاضلة، وأن الفلاسفة هم من يحق لهم بأن يصبحوا ملوكاً، وأول مهمة لهؤلاء الملوك اختيار أناس لحراسة المدينة الفاضلة، حيث يقول في جمهوريته: «لا بد أن نتقي من بين حراسنا أشدهم إخلاصاً، لهذا المبدأ الأساسي هو أن يراعي المرء في كل ما يفعل مصلحة الدولة وحدها، وعلينا أن نختبرهم منذ طفولتهم بأن نعهد إليهم بالأعمال التي تعرضهم لنسيان هذا المبدأ أو تؤدي بهم إلى الخطأ، ثم نتقي منهم من يظل يتمسك به، ومن يصعب إغراؤه بينما نستبعد من لم يكن كذلك»²، وتعتبر أفكار أفلاطون اليوتوبية أفكاراً ماركسية تارة، وشيوعية تارة أخرى، لكن الذي لا بد منه هو تأسيس جمهورية بصورة نموذجية للمجتمع المدني اليوتوبي ويعبر عنه في قوله: «والآن ألا توافقي أن خطة دولتنا ودستورنا ليس مجرد أوهام وأنه إذا كان تحقيقها صعب فهو ممكن»³.

3- اليوتوبيا عند الفراي (259هـ، 339هـ) (872م، 950هـ): يعد "الفراي" من أهم المفكرين العرب الذين تطرقوا إلى موضوع المدينة الفاضلة، وذلك من خلال كتابه "آراء المدينة الفاضلة"، يقر "الفراي" بأن الإنسان مدني بطبعه ويميل إلى العيش في مجتمع وهذا شيء فطري فيه، فالإنسان لا يستطيع تحقيق الكمال لنفسه.

¹ ماريا لويزا برنيري، المدينة الفاضلة عبر التاريخ، تر: عطيات أبو السعود، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1997م، ص32.

² المرجع نفسه، ص37.

³ حنا خباز، جمهورية أفلاطون، دار القلم، بيروت، لبنان، ط6، 2000م، ص155.

وقد أطلق الفراي على الإنسان لقب الحيوان المدني « فالإنسان في مفهومه مضطر بطبيعته إلى الاجتماع مع غيره من بني جنسه من أجل تحقيق كماله لأن الاجتماع هو وسيلة لتحقيق كماله وليس غاية»¹.

إن المدينة المثالية عند الفراي هي المكان الذي يجتمع فيه البشر في نظام مدني، لأن الإنسان يحتاج إلى الاجتماع والتعاون، «وكل واحد من الناس مفطور على أنه محتاج في قوامه وفي أن يبلغ أفضل كمالاته إلى أشياء كثيرة لا يمكنه أن يقوم بها كلها هو وحده بل يحتاج إلى قوم يقوم له كل واحد منهم بشيء مما يحتاج إليه»²، لذا فإن المجتمع الفاضل والمثالي في مدينة الفراي أساس قوامه التعاون وتقسيم الحاجات لأن الناس يحتاجون لبعضهم البعض، والمدينة الفاضلة «هي ما تتحقق فيها سعادة الأفراد على أكمل وجه، ولا يكون ذلك إلا إذا تعاون أفرادها على الأمور التي تنال بها السعادة»³، وبالنسبة للفراي فإن السعادة والكمال يتحققان بالعمل على تحقيق غايات المجتمع وأهدافه والفرد هو الوحدة الأساسية لتكوين هذا المجتمع.

من الأشياء التي لا بد أن تتوفر في مدينة الفراي هي ضرورة اختيار رئيس مناسب لأن الرئاسة هي السلطة العليا والمثل الأعلى للأفراد، «و لذلك لا يصلح للرياسة إلا من زود بصفات فطرية ومكتسبة يتمثل فيها أقصى ما يمكن أن يصل إليه الكمال في الجسم والعقل والعلم والخلق والدين»⁴، ويجب أن يكون أفراد هذه المدينة صورة من رئيسهم لكي تتحقق سعادتهم وقد اشترط أن يكون الرئيس «حكيمًا وعالمًا وحافظًا لشرائع السنن والسير التي دبرها الأولون، أن يكون له جودة رؤية وقوة استنباط ويكون مُتحرّياً بما يستنبطه، أن يكون له جودة إرشاد بالقول إلى شرائع الأولين، أن يكون له جودة ثبات ببدنه في مباشرة أعمال الحرب...»⁵.

نظرة الفراي للمدينة الفاضلة تشبه لحد ما النظرة الأفلاطونية لعالم المثل، فقد أراد الفراي أن يؤسس مدينة يوتوبية فاضلة وهي نفس المدن التي فكر فيها الفلاسفة اليونان قبله مما يدل على مدى تأثره بهذا الفكر، لكن الفراي أراد تأسيسها وفقاً لمبادئه وآرائه التي تنص على أن السعادة تتحقق بالأخلاق والاجتماع والتعاون.

¹ محمد حسين مهدي، المدينة الفاضلة في فلسفة الفراي وموقف الإنسان منها، عالم الكتب الحديث للنشر، الأردن، ط1، 2014م، ص77.

² أبي النصر الفراي، آراء أهل المدينة الفاضلة، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1906م، ص77.

³ علي عبد الواحد وفي، المدينة الفاضلة للفراي، نضضة مصر للطباعة والنشر، مصر، 1986م، ص29.

⁴ المرجع نفسه، ص30.

⁵ نفسه، ص32.

4- أشهر الأعمال التي تناولت الفكر اليوتوبي:

يعد المفكر الإنجليزي "توماس مور" (1535/1478م) أول من استخدم مصطلح "يوتوبيا" في رواية كتبها تحمل هذا العنوان والتي تتألف من كتابين، يتضمن الكتاب الأول تفصيلاً لجزيرة تتكون من 54 مدينة متساوية في عدد المنشآت والسكان ولهذه المدن نفس العادات والقوانين ويقزم نظام الجزيرة المثالية على العدالة التي لا تتحقق إلا عن طريق اشتراكية الحياة وإلغاء الملكية الخاصة، أما الكتاب الثاني فيحتوي على وصف للحياة داخل هذه الجزيرة ويوميات سكانها ونظام الحكم والعمل والحياة الاجتماعية، كما يتطرق فيه إلى الأسس الفلسفية في الحياة.

أراد "توماس مور" من خلال روايته إبراز المدينة المثالية التي توجد في مكان ما في هذا العالم، والحياة التي يرغد بها البشر هناك، وصفات الملك المثالي، فاليوتوبيا بالنسبة لتوماس مشروع تحديد للوضع السياسية في إنجلترا والذي يهدف إلى تحقيق العدالة والمساواة في أوروبا عموماً، يقول توماس: « ويشغل الحاكم منصبه طوال الحياة ما لم يعزل إن أتهم بالميل للطغيان، أما الرؤساء فينتخبون سنوياً ولكنهم لا يستبدلون بغيرهم إلا لسبب قوي، أما غيرهم من الرؤساء فيشغلون مناصبهم لمدة عام واحد... فإذا نشأ خلاف بين فردين من أفراد الشعب وقلما يحدث ذلك، فإنهم يسوونه بدون إبطاء»¹، من خلال هذا القول يصور توماس نظام الحكم المثالي الذي تطمح له أي دولة يوتوبية، والحاكم فيها مجرد صورة شكلية فوجوده يماثل عدمه، أما العلاقات الاجتماعية مبنية على السلوك التلقائي والطبيعي بين المواطنين، لهذا سعى توماس إلى بناء دولة يوتوبية مثالية يحكمها العدل والمساواة.

ثانياً: مفهوم الديستوبيا

تعني كلمة "ديستوبيا" المكان الفاسد والكريه والسيء، وأصل المصطلح يوناني عكس اليوتوبيا التي تعني المكان الفاضل، «كلمة ديستوبيا استخدمت أول مرة في منتصف القرن الثامن عشر، استخدمها الفيلسوف الإنجليزي "جون ستيوارت ميل" في خطاب أمام البرلمان عام 1868م، لم يشع الشكل الأدبي واستخدام الكلمة لوصفه حتى وقت لاحق في القرن العشرين»²، فالديستوبيا مصطلح يراد به تصوير العالم الواقعي السوداوي في قالب خيالي، يتنبأ بمستقبل متشائم مليء بالكآبة والسلبية، «وتعتمد الديستوبيا على الخيال

¹ توماس مور، يوتوبيا، تر: أنجيل بطرس سمعان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط2، 1987م، ص149.

² لايمان تاور سارجنت، اليوتوبية مقدمة قصيرة جداً، تر: ضياء ورا، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، مصر، ط1، 2016م، ص32.

فهي نقد غير مباشر للمجتمع والنظم المختلفة، فأدب الديستوبيا يوجه سهام النقد إلى المواقف في العالم بإحالتها إلى سياق غير مألوف في عالم بالغ الخيال»¹.

كما «تعرف الديستوبيا كذلك بمصطلح "اليوتوبيا المضادة" والتي تهدف في خططها الروائية إلى نقد التبعات السلبية الكامنة وراء الانصياع لصيغ بعينها من الأفكار المثالية، وتميل الروايات الخيالية عن المدن الفاسدة إلى تضمين بُعد نقدي لاذع يرمي إلى التحذير من العواقب المحتملة لتوجيهات معينة في عالم الواقع»²، ومنه يمكن القول بأن الديستوبيا مفهوم فلسفي يقوم على السخرية ونقد الواقع، وذلك من خلال تجسيده في صورة مدينة خيالية تصور الخراب والفساد واللاإنسانية التي تمس العالم الحقيقي.

الديستوبيا هي جزء لا يتجزأ من اليوتوبيا، وقد ظهرت بعد ظهور وهيمنت اليوتوبيا، فلولاها لما عرف العالم الفكر الديستوبي الفاسد، و«رغم أن الديستوبيا أصبحت الشكل الأدبي المهيمن في القرن العشرين، فإنها لم تزحزح اليوتوبيا من موقعها، وفي الوقت الذي كانت تنتشر فيه ديستوبيات النصف الأول من القرن العشرين العظيمة، كانت هناك يوتوبيات كثيرة منشورة»³.

تعددت تسميات المدن الديستوبية منها: «المدينة الجاهلية والمدينة الفاسقة والمدينة المتبدلة والمدينة الضالة، والمدينة الجاهلية هي التي لم يعرف أهلها السعادة ولا خطرت ببالهم»⁴، والمجتمع الديستوبي هو مجتمع مُدرك لقيم ومبادئ المدن الفاضلة، لكن أفعاله تكون مخالفة لأفعال المجتمع المثالي، وعليه يمكن القول أن أهل المدن الفاسدة استبدلوا مبادئ أهل المدن الفاضلة بمبادئ مضادة لها بسبب ظروف حتمية.

أشهر الأعمال التي تناولت الفكر الديستوبي:

من أشهر الأعمال الأدبية التي أسست للفكر الديستوبي هي الأعمال الفنية لـ "جورج أورويل"، التي تعد الانطلاقة الفعلية للأدب الديستوبي، وتعتبر روايته النموذج الأمثل للتعبير عن المدينة الفاسدة بعنوان (1984) ألفها في سنة 1984م.

¹ آن ماري توماس، كيث بوك، المرجع في روايات الخيال العلمي، تر: عاطف يوسف محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2010م، ص128.

² المرجع نفسه، ص127.

³ ليمان تاور سارجنت، اليوتوبية مقدمة قصيرة جداً، تر: ضياء وراد، ص35.

⁴ أبي النصر الفراي، آراء أهل المدينة الفاضلة، ص90.

وتعتبر أيضا رواية (عالم جديد شجاع) للكاتب "ألدوس هكسلي" التي ألفها عام 1932م، من الروايات التي كان لها الأثر الكبير في السرد الروائي الديستوبي.

أما في العالم العربي نجد "أحمد خالد توفيق" من أبرز الكتاب الذين كتبوا في الخيال العلمي وخاصة الديستوبيا، بداية من روايته (ممر الفئران) التي سلط فيها الضوء على مدينة واقعية ومدينة خيالية ديستوبية، وروايته (يوتوبيا) التي تناولت الفكر اليوتوبي والديستوبي معا.

الفصل الأول: بنية الشخصية الروائية

- تمهيد.
- تقديم الشخصية الروائية.
- أنواع الشخصيات الروائية.
- أبعاد الشخصية الروائية.
- وظيفة الشخصية الروائية.
- علاقة الشخصية الروائية بالمكونات السردية الأخرى.

تمهيد:

إن الشخصية الروائية من أهم العناصر الأساسية المكونة للخطاب السردى الروائى، باعتبارها « المحرك الأساسى داخل العمل الروائى إذ هي الركيزة التي تضمن حركية النظام العلائقي داخله »¹، كما أنها تمثل موضوع اهتمام الكثير من النقاد، بل إن بعضاً منهم يذهب إلى أن الرواية هي " فن الشخصية "، فتعددت معها الكتابات النظرية والبحوث التنظيمية التي تناولتها، و غني عن القول أن الشخصية من أهم مكونات العمل الحكائي، كونها تمثل العنصر الحيوي الذي يضطلع بمختلف الأفعال والتصرفات التي ترتبط وتتكامل في مجرى الحكى.

وتختلف طرق تقديم الشخصية وتوظيفها في المتن الروائى بحسب فعاليتها في الحدث ودورها وأهميتها فيه، فتختلف الشخصية ذات الحضور الكبير والدائم في الرواية عن غيرها ذات الحضور القليل والعابر، وهو ما يجعل الروائى يركز وصفه غالباً حول الشخصيات الأكثر تأثيراً في الحدث، ليقدمها للمتلقي بصورة كاملة محدداً صفاتها الجسدية تحديداً شبه كامل، ومتى كان الروائى بارعاً في وصف شخصيات عمله كان تعلق القارئ بها أكثر، وكان نجاح الرواية وقبولها عند القارئ مؤكداً.

وعلى ضوء ما سبق، سيتم الانتقال إلى تجليات بنية الشخصية الروائية بُغية اكتناه خصوصيتها، منها: طرق تقديمها، وأنواعها، وأبعادها، ووظيفتها، وعلاقتها بباقي المكونات السردية الأخرى.

¹ ضيف الله أسماء و جبالي جهاد، بنية الشخصية في رواية "نساء في الجحيم" لعائشة بنور، مذكرة لنيل شهادة الماستر في اللغة و الأدب العربي، جامعة حمه لخضر، الوادي، 2017م / 2018م.

أولاً: تقديم الشخصية الروائية:

الشخصية خاصية من خصائص الإنسان، وهي تختلف من شخص لآخر، فلكل طريقته الخاصة في رسم معالمها، فكيف يا ترى يبدع الروائي في تقديم شخصياته؟

إنَّ عظمة الروائي تُقاس بقدرته على إبداع الشخصيات كما يُقال، فالروائي الحقيقي هو ذلك الذي يخلق الشخصيات بل «إنه يتخيل أبطاله يحسّون ويتكلمون ويتحركون، و كثيراً ما يستعير الكاتب نماذج شخصياته من الواقع و يمزجها بملامح أخرى من خياله، و حين يتخيل الكاتب شخصيات الرواية، يبدأ بفتح ملف كل شخصية يصفها فيه وصفاً دقيقاً و كأنّها شخصية حقيقية، و يضع لها سيرة، وتاريخاً، ونسباً، ولا يفوته شيء من الوصف الخارجي بما في ذلك البيئة التي عاش فيها، و المدارس التي تلقى تعليمه بها»¹.

فلكل شخصية مميزات وخصائص تنفرد بها عن غيرها، والشخصية هي وسيلة الكاتب من أجل التعبير عن فكرة ما، أو التنويه إلى قضية تشغل باله، حيث إنَّ «تشكيل الشخصية في عمل روائي ما يرتبط بالضرورة بموقف المؤلف منها، سواء أكان ذلك الموقف إيجابياً أم سلبياً، فقد يقترب على الجانب المقابل من توجهه الفكري والعقائدي»².

الرواية بصفة عامة موضوعها الشخصية، والروائي يلبسها كل ما يريد إيصاله لقارئه من أفكارٍ وقيمٍ ومبادئ، كما له حرية الاختيار في تقديم وصنع شخصياته بالطريقة التي يراها مناسبة له.

أولى النقاد السرديون تقديم الشخصية في النص الروائي أهمية كبيرة لما لها من دور مركزي رئيسي في تشغيل دينامية العملية السردية داخل فضاء النص « والمقصود بأشكال التقديم الطريقة التي يُقدم بها الروائي شخصياته في الرواية »³، أي الطريقة التي يعرض بها الروائي شخصياته للمتلقي، فتعددت و تباينت مفاهيمهم و آرائهم في وضع تقسيم محدد و مباشر للشخصية الروائية، حيث « يعتمد الكاتب في رسم شخصياته إلى وسائل مباشرة (الطريقة التحليلية) و أخرى غير مباشرة (الطريقة التمثيلية)، حيث يرسم في الحالة الأولى شخصياته من الخارج، و يعطينا رأيه فيها، بينما ينحي نفسه جانباً، وفي الحالة الثانية يُتيح للشخصية أن تعبر

¹ عبد الله خمار، تقنيات الدراسة في الرواية "الشخصية"، دار الكتاب العربي، الجزائر، (د ط)، ديسمبر 1999م، ص 23.

² عادل ضرغام، في السرد الروائي، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص 40.

³ محمد بوعزة، تحليل النص السردى تقنيات و مفاهيم، دار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010م، ص 42، 43.

عن نفسها و تكشف جوهرها، بأحاديثها و تصرفاتها الخاصة، و قد يعتمد إلى توضيح بعض صفاتها عن طريق أحاديث الشخصيات الأخرى عنها، و تعليقها على أعمالها¹.

من هذا القول نذكر بأن الكاتب يُصوّر في الطّريقة المباشرة أشخاصه من الخارج ويحلل عواطفهم، وفي الطريقة غير المباشرة يُتيح الكاتب لشخصياته فرصة الكشف عن عواطفها وحقيقتها وماهيتها من الداخل، وكلما اتّضح الوصف من الداخل والخارج من لدن الكاتب، كان ذلك أكمل وأنجع لتصوير شخصية متكاملة المعالم.

اختيار إحدى الطريقتين في تقديم الشخصية ورسمها، يعتمد على اختيارات الكاتب الجمالية والفكرية ودرجة القرب أو البعد التي يريدها في شخوصه، وفلسفته في ماهية الواقع، وكيفية نقل صورة هذا الواقع إلى القراء المتلقين، أي أن الصفات والخصائص التي تتمتع بها هذه الشخصيات الروائية، تُعتبر لسان حال فكر الروائي، أي هي وسيلة الكاتب للتعبير عن أيديولوجيته وفلسفته في الحياة.

ويتم التمييز في العادة بين طريقتين في رسم الشخصيات الروائية:

1- التقديم المباشر:

إنّ الشخصية الروائية وفق هذا المبنى، تقدم ذاتها بذاتها، مستغنية عن كل الوسائط التي يمكن أن يعزى إليها وظيفة نقل المعلومات المتعلقة بها إلى القارئ، حيث « يفسح الكاتب فيها المجال للشخصية نفسها للتعبير عن أفكارها و عواطفها »²، فتعرض نفسها و تعبر عن ذاتها، و تحدد أفكارها و طموحاتها على لسانها مباشرة « باستعمال ضمير المتكلم، فتقدم معرفة مباشرة عن ذاتها بدون وسيط، من خلال جمل تتلفظ بها هي أو من خلال الوصف الذاتي auto-description، مثلما نجد في الاعترافات والمذكرات واليوميات والرسائل »³، إنّ هذا التقديم يساعد على معرفة الشخصية و الاقتراب منها وكشف جوانب مهمة من كينونتها و دواخلها، و كل ما هو مرتبط بنفسيتها من مشاعر، وأحاسيس، وعواطف، و هموم.

¹ غريد الشيخ، الأدب الهادف في قصص و روايات غالب حمزة أبو الفرج، قناديل للتأليف و الترجمة و النشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص381.

² صبحية عودة زعرب، غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي للنشر، عمان، الأردن، ط1، 2006م، ص118، 119.

³ محمد بوعزة، تحليل النص السردى تقنيات و مفاهيم، ص44.

كما أنّ هذا النوع من التقديم هو الأقرب إلى فهم المتلقي وشعوره، لأنه يستقبل المعلومات من صاحب الشأن لا بواسطة الآخرين.

2- التقديم غير المباشر:

في هذه الحالة يقوم الكاتب بتصوير الشخصيات من الخارج، ويقوم أيضًا بتحليل عواطفهم وأحاسيسهم كما يُصدر الأحكام عليها في كثير من الأحيان، فالسارد يكون ملزمًا بتقديم كل ما يتعلق بالشخصية أو «يوكل ذلك إلى شخصية أخرى من شخصيات الرواية، في هذه الحالة يكون السارد وسيطًا بين الشخصية والقارئ، أو تكون إحدى شخصيات الرواية وسيطًا بين الشخصية والقارئ»¹، وقد يصورها الكاتب ويقدمها من خلال الأحداث والتفاعل مع غيرها من الشخصيات.

إن الشخصية الروائية وفق هذا المظهر من صيغ التقديم يختفي صوتها، ويجري تقديمها داخل منظومة الحكيم بواسطة طرف آخر، يجب أن يكون مُلمًا بالمعلومات اللازمة عنها، كي يتمكن من الربط بينهما وبين أفعال الشخصيات في مختلف الأوضاع الحكائية التي تتموضع فيها، «فمصدر هذه المعلومات هو السارد وليس الشخصية ذاتها»².

ما وصلتُ إليه هو أن الكاتب يستخدم طريقتين لرسم شخصياته، إما يستخدمهما معًا، أو يفضل طريقة على أخرى في رسم هذه الشخصيات، فالطريقة التحليلية يعطي الكاتب صورة عن شخوصه من الخارج ويقدم معلومات عن عواطفها ومشاعرها وأفكارها ويدلي برأيه عن أفعالها مع الشرح والتفسير.

أما الطريقة التمثيلية، فيفسح الكاتب فيها المجال للشخصية للتعبير عن ذاتها، عن طريق الكلام والأفعال، أو يظهر بعض الصفات عن طريق حديث الشخصيات الأخرى، لتبين صفاتها أو تعلق على أفعال هذه الشخصيات.

ثانيًا: أنواع الشخصيات الروائية

تتنوع الشخصيات في الرواية، من حيث أنها تحمل أفكار و مضامين متنوعة، يقوم صاحبها برسمها حسب رؤيته و أفكاره، و تعتبر الشخصيات محركًا رئيسيًا للأحداث داخل الرواية، فهي «عنصر أساسي في

¹ محمد بوعزة، تحليل النص السردى تقنيات و مفاهيم، ص44.

² المرجع نفسه، ص46.

العمل القصصي كلّ بل إن بقاء الفن الروائي مرتبط بوجود الشخصية فأغلب الروايات ما هي إلا أحداث و أفعال تقوم بها الشخصيات»¹، و سأعرض الأصناف و أوردتها كالاتي :

1- الشخصية الرئيسية:

ويطلق عليها أيضًا " البطل "، و تعد من الشخصيات المهمة في العمل الروائي، حيث تسعى إلى إقامة علاقة شديدة الارتباط بالعمل الروائي و تطوره، و في كل عمل روائي نجد هذه الشخصية الأساسية، فهي من تتولى قيادة الأحداث و تقوم بتوجيهها، و يقول "توماشفسكي" : « أن هذه الصفات الجديدة للشخصية لم تكن تتوفر له و لم يكن يُعنى بها في النصوص الكلاسيكية »².

ان أهم ما جاءت به الدراسات الحديثة حول الشخصية الأساسية، هي الابتعاد كل البعد عن تسميتها بالبطل، لأن فيها نوع من الرّيف أي بطولة زائفة، وذلك بظهور أدب الخيال، فاستبدلوا مصطلح "البطل" باسم «الشّخصيّة الرئيسيّة».

و الشخصية الرئيسية تتميز بأنها معقّدة و مركّبة و متغيّرة و ديناميّة و غامضة، لها القدرة على الادهاش والافئاع، تقوم بأدوار حاسمة في مجرى الحكى و تستأثر بالاهتمام، يتوقّف عليها فهم العمل الروائي، ولا يمكن الاستغناء عنها أبدًا في الرواية، و « تنبع أهمية الشخصية الرئيسية من الدور الروائي القيادي الذي تؤدّيه، ففي كل مرة تظهر به هذه الشخصية تترك نمطًا معيّنًا من أنماط وجودها الذي يتبلور في نهاية المطاف الروائي، و تبدو الشخصية الروائية بارزة إلى حد ما في العمل الروائي، فالشخصية الرئيسية هي التي تنكشف تدريجيًا في القصة و تتطور بتطور أحداثها، و يكون تطورها عادة نتيجة تفاعلها المستمر مع هذه الأحداث»³.

نجد الشخصية الرئيسية في الغالب، تُكوّن علاقات مع جميع الشخصيات الأخرى في العمل الروائي، ويجسد الكاتب من خلال هذه الشخصية رؤيته و الفكرة التي يريد إيصالها للقارئ، و يلخص من خلال

¹ سناء طلبة و نور الهدى تقوى بن بودريو، بنية الشخصية في رواية " البيت الدافئ " لخولة القزويني، مذكرة لنيل شهادة الماستر، كلية الآداب و اللغات، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2019م/2020م، ص14.

² آسيا جريوي، سيميائية الشخصية الحكائية في رواية " الذئب أسود " لحنّا مينة، أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري، مجلة مخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد السادس، 2010م، ص04.

³ عدي جاسم أحمد، أنماط الشخصية و دورها في البناء السردي في روايات محسن الرملي، دار غيدا للنشر، عمّان، الأردن، ط1، 2017م، ص40.

شخصيته الرئيسية صفات مجتمع بأكمله، ونلاحظ أيضًا تواجداً مكثفًا لهذه الشخصية داخل الزمان والمكان، فلا يمر حدث إلا ونجد الشخصية الرئيسية حاضرة فيه.

ويمكن تمييز الشخصية بأنها رئيسية من خلال الوظائف التي يسند لها، فيسند للبطل أدوارًا ووظائف لا تسند إلى بقية الشخص، وغالبًا ما تكون هذه الأدوار مفصلة داخل المجتمع.

يختار السارد شخصية واحدة، يقوم بصقلها ويوليها جلّ اهتمامه، و يسقط عليها كافة الصفات التي ترفع من شأنها وتقويها داخل السرد وهي الشخصية الرئيسية.

فالشخصية الرئيسية هي «الشخصية البؤرية، لأن بؤرة الإدراك تتجسد فيها، فتنتقل المعلومات السردية من خلال وجهة نظرها الخاصة، فهي توصل للقارئ معلومات تخصها وأخرى تخص الشخصيات الأخرى أو تتعلق بمكان معين، و تكون كل تلك المعلومات من وجهة نظر الشخصية الرئيسية، تبثها للقارئ تبعًا لقناعاتها وأفكارها ومشاعرها تجاه الشخصيات الأخرى»¹.

من خلال ما سبق أستخلص أن الشخصية الرئيسية هي الميدان أو المجال الرئيسي الذي تدور حوله الأحداث، وهي التي تقود العمل وتدفعه إلى الأمام، وتأخذ به عاليًا ليُحلّق بالقارئ إلى عالم آخر، وتبرز أهمية الشخصية الرئيسية من خلال علاقتها وعملها وتداخلها مع الشخصيات الأخرى.

بالنسبة لي، الشخصية الرئيسية هي العمود الذي يحقق الاستقرار والثبات والتوازن في الرواية، فمنها تبدأ الأحداث، وبها تُحلّ العقدة، وهي جسم العمل ومحرك الوقائع في النص.

2- الشخصية الثانوية:

تمثل هذه الشخصية العنصر المساعد للشخصية الرئيسية، فهي مركز العون لها وتمثل محور دالة لشخصية البطل، « و الشخصية الثانوية هي التي يُأتى بها لتأنيث الفضاء... و هي شخصيات لا تحمل في العمل الروائي أي بُعد وظيفي، أو أفق للتطور »².

¹ آيات شفيق سعيد عموص، المناحي الفنية في رواية " يوتوبيا " للكاتب أحمد خالد توفيق، أطروحة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2021م، ص158.

² عدي جاسم أحمد، أنماط الشخصية و دورها في البناء السردى في روايات محسن الرملي، ص46.

فتظهر هذه الشخصية كعنصر يحتك بشخصية البطل، و تخلق لكيانها عالم من الاندهاش والحيوية والاهتمام، « و تلعب الشخصيات الثانوية دوراً هاماً في توضيح القصة، فهي تقود القارئ في مجاهل العمل القصصي و توجه الحبكة و الأحداث، بحيث تُلقي ضوءاً كاشفاً عن الشخصيات الرئيسية ولا يُميزها حضور خاص ولا يعتني النص بصفاتها و ملامحها الجسدية و المعنوية بل تدور مع الشخصية الرئيسية وتتصل بها اتصالاً مباشراً يُنمي الحدث عبر تلاحم أفعالها ¹».

هذه الشخصية تُنتج وظائف، وهذه الوظائف تجعل منها تابعة، تُوظف في الحدث كما يدلي بها "عبد المالك مرتاض" أنّ الشخصية السلبية أو المسطحة أو الثابتة «هي مصطلحات تكاد تعني شيئاً واحداً منها، لا يمكن أن تلد في العمل الروائي من دون عناوين، بل كثيراً ما تتوهج الشخصيات المدورة أو ما يُعاد لها في الاصطلاح (النامية، الايجابية) بفعل هذا الدرب من الشخصيات الثانوية، التي ما كان لها لتكون هي أيضاً، لولا الشخصيات عديمة الاعتبار ²».

اذن، تلعب الشخصيات الثانوية دوراً هاماً في العمل الروائي باعتبارها شخصيات ترتبط بالشخصية الرئيسية، وتتضافر في حركتها لترتبط بالشخص الأخرى في بنية روائية مُحكمة، تؤسسها هذه الشخصيات بعلاقاتها وتفاعلهما، وتلي الشخصية الرئيسية في الدور والأهمية والمشاركة في الحدث.

الشخصية الثانوية تكون مُسطحة، أحادية، و ثابتة، وساكنة، و واضحة، و ليست لها جاذبية، تقوم بدور التابع العرضي ولا يُغيّر مجرى الحدث، ولا أهمية لها ولا يؤثر غيابها في فهم العمل الروائي.

3- الشخصية النامية:

لا يخلو أي نص روائي أو قصصي من ثنائية ملازمة لكل حدث، وقد أطلق عليها النقاد اسم الشخصيات النامية وأخرى المسطحة، والشخصية النامية تسمى بالدينامية، المستديرة، المدورة، المتحركة، المتطورة.

¹ المرجع السابق، ص46.

² عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية " البحث في تقنيات السرد"، دار عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1998م، ص89.

أما عن مفهومها فهي «الشخصية التي يتم تكوينها بتمام القصة، فتتطور من موقف لآخر، و يظهر لها في كل موقف تصرف جديد يكشف لنا عن جانب جديد منها»¹، أي أنها تتكشف لنا تدريجياً وليس على دفعة واحدة، و هي في تطور دائم مع تطور الصراعات و الأحداث، كما «تتغير وتتطور بتغير الظروف الإنسانية بصفة عامة»²، فهي متغيرة و متحددة و تبرز في مواقف كثيرة بتصرفات مختلفة، وتستطيع أن تكون واسطة أو محور اهتمام لجملة من الشخصيات الأخرى داخل العمل الفني.

والخاصية المميزة للشخصية النامية هو قدرتها على المفاجئة بطريقة مقنعة و ذلك «نتيجة لتفاعلها المستمر مع الأحداث، ويكون هذا التفاعل ظاهراً أو خفياً، و توصف بالعمق و بأبعادها الإنسانية المتنامية فكرياً وعاطفياً و انفعالياً، وبحركتها الحرة المرنة التي تفاجئ من حولها بما تقدمه من جديد»³.

ويميز الناقد " فورستر " بين نوعين من الشخصيات النامية، «شخصية تُفاجئنا بحدث تلو الآخر، ولكن بطريقة مقنعة فهي ذات عمق، وقد أطلق عليها تسمية (المستديرة)، أما التي لا تُفاجئنا مطلقاً فتكون عند ذلك شخصية (سطحية)، وهي ما تُقابل الشخصية الثابتة»⁴، كما يقسم هذا النوع من الشخصية إلى قسمين: الشخصية النامية الايجابية، والشخصية النامية السلبية.

استنتج مما سبق أنّ الشخصية النامية تُقود إلى الفعل السردي، وتدفعه إلى الأمام في الدراما أو الرواية، أو أية أعمال أدبية أخرى، تُحرّك الحدث وتُعطيهِ انطلاقة وتفاعل وتتطور مع الأحداث سواء بالظهور أو الخفاء من بداية الرواية إلى نهايتها.

4- الشخصية المسطحة:

يُطلق عليها البعض اسم الشخصيات الثابتة أو الجامدة أو النمطية، وهي الشخصيات الثابتة في النص وتسمى بالشخصية « الجاهزة المكتملة التي تظهر في القصة دون أن يحدث في تكوينها أي تغيير، وإنما يحدث

¹ عز الدين اسماعيل، الأدب و فنونه دراسة و نقد، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط9، 2013م، ص108.

² محمد علي سلامة، الشخصية الثانوية و دورها في المعمار الروائي عند نجيب محفوظ، دار الوفاء لدنيا الطباعة، الاسكندرية، مصر، ط1، 2007م، ص108.

³ بان البناء، البناء السرد في الرواية الاسلامية المعاصرة، عالم الكتب الحديث للنشر، إربد، الأردن، ط1، 2014م، ص80.

⁴ المرجع نفسه، ص81.

التّغير في علاقاتها بالشخصيات الأخرى فحسب، أما تصرفاتها فلها دائماً واحد¹، فهي شخصية تتسم بالوضوح و بعيدة عن الغموض، تتميز بالثّبات و الجمود و السّكون.

أي أنّ القارئ يستطيع من أول وهلة التّعرف عليها دون تعمّق أو تركيز، وبذلك يصبح قادراً على فهمها من خلال وُرودها في النص.

الشخصية السطحية تحمل فكرة واحدة أو صفة ثابتة على مدى القصة، «وليس لها تأثير كبير في أحداثها، ولا تتأثر هي كذلك بها، غير أن لها فائدة كبيرة يتوخّاها الكاتب من حضورها في قصّته، لما لها من تأثير في المتلقي، كونها شخصية مكملّة»².

إن هذا النوع من الشخصيات يخلو من عنصر المفاجآت أو ما يحتاج إلى تحليل أو تفسير، إلا أنها تلعب دوراً مُكمّلاً وأساسياً، لأن الروائي في حاجة ماسّة إليها لكي يتّم عمله الروائي دون نقص.

وهذه الشخصية تأتي على نوعين (إيجابية وسلبية):

فالإيجابية هي «شخصية تسلط الضوء على الشخصية المحورية، من غير تحامل أو حقد عليها لأي موقف أو سبب»³.

أما السلبية فهي «شخصيات انتهائية أنانية سائرة إلى أهدافها بشتى الوسائل والأساليب»⁴.

إذن، الشخصية الثابتة أو المسطحة هي التي تبنى حول فكرة واحدة، ولا تتغير طوال الرواية، ولا تتطور وتفتقد الترتيب، كما أنها لا تُدهش القارئ أبداً بما تقوله أو تفعله، سوى أنها تخدم فكرة السارد.

5- الشخصية المرجعية:

تتميز جل الأعمال الروائية بخلفية أو كما تسمى مرجعية واقعية معيشة، مستوحاة من الإطار الثقافي أو الديني أو الاجتماعي، والمرجعية في مفهومها اللساني «هي الوظيفة التي يحيل بها الدليل اللساني على

¹ عز الدين اسماعيل، الأدب و فنونه دراسة و نقد، ص108.

² بان البنّا، البناء السردى في الرواية الإسلامية المعاصرة، ص83.

³ المرجع نفسه، ص 83.

⁴ المرجع نفسه، ص85.

موضوع العالم غير اللساني، سواء أكان واقعياً أم خيالياً¹، أي أنها الخلفية المبرزة للواقع واللاواقع أيضاً، وعلى هذا الأساس «تحليل الشخصية المرجعية على الواقع الغير نصّي (Extratextuel) الذي يفرزه السياق الاجتماعي أو التاريخي»².

وفي مفهوم آخر هي «شخصية ذات أنواع تحليل على معنى ثابت تفرضه ثقافة ما، بحيث أنّ مقروئيتها تضل دائماً رهينة مشاركة القارئ في تلك الثقافة، و هي تعمل أساساً على التثبيت المرجعي و ذلك بإحالتها على النص الكبير الذي تمثله الأيديولوجيا و الثقافة»³، أي أنها تلك الشخصيات التي تختزل معنى ثقافي ثابت، و تتمثل في الشخصيات التاريخية، و الأسطورية، و الدينية و غيرها، و المعنى الذي تحمله يفهم بالاعتماد على خلفية القارئ الاجتماعية و الأيديولوجية.

تدخل الشخصية المرجعية ضمن «شخصيات تاريخية (نابليون الثالث في ريش ليو عند ألكسندر دوم) و الشخصيات الأسطورية (فينوس، زوس) و شخصيات مجازية (الحب، الكراهية) شخصيات اجتماعية (العامل، الفارس، المحتال) كل هذه الأنواع تحليل على معنى ممتلئ ثابت حددته ثقافة ما، كما تحليل على أدوار برامج و استعمالات ثابتة»⁴.

الشخصيات التاريخية هي شخصيات تحليل عن معنى منجز و ثابت تفرض ثقافة ما، بحيث أنّ مقروئيتها تظل دائماً رهينة بدرجة مشاركة القارئ في تلك الثقافة، أما الشخصية الأسطورية فتمزج بين الحقيقة والخيال و الفكر الفلسفي و الاجتماعي، و تعمل أساساً على التثبيت المرجعي.

6- الشخصيات المتكررة:

وهي « شخصيات ذات وظيفة تنظيمية لاحمة أساساً، أي أنها علامات مقوية لذاكرة القارئ من مثل الشخصيات المبشرة بخير أو تلك التي تذيع و تؤول الدلائل، و عادة ما تظهر هذه الشخصيات في الحلم

¹ رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006م، ص130.

² المرجع نفسه، ص131.

³ فائزة بوشبوط، بنية الشخصية في رواية " أرخبيل الذباب " لبشير مفتي، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص أدب جزائري، جامعة 8 ماي 1945م، قالمة، 2019م، ص32.

⁴ فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنگراد، دار الحوار للنشر و التوزيع، اللاذقية، سوريا، ط2013، 1م، ص35.

المنذر بوقوع حادث أو في مشاهد الاعتراف و البوح، و بواسطة هذه الشخصيات يعود العمل ليستشهد بنفسه و ينشئ طوطولوجيته الخاصة»¹.

الشخصية المتكررة لها علاقة بذهن و تفكير المتلقي، فهي ترتبط بالحالة الشعورية و اللاشعورية في بعض الأحيان للشخص مثل الأحلام، و هذا ما أشار إليه " فيليب هامون " باسم الشخصية الاستذكارية، و حدد مفهومها من منطلق «أنها نسيج شبكة من التدايعات و التذكير بأجزاء ملفوظية ذات أحجام متفاوتة (جزء من الجملة، كلمة فقرة)، إنها علامات تنشط ذاكرة القارئ، بعبارة أخرى إنها شخصيات للتبشير»².

إن أفضل الصور أو الصفات التي تدل على هذا النوع من الشخصيات نذكر:

مشهد الاعتراف، والتمني، والتكهن، والذكرى، والاسترجاع، والاستشهاد بالأسلاف، والصحو، والمشروع، وتحديد برنامج... الخ

كل هذه الصفات يقوم العمل من خلالها بالإحالة على نفسه و يُبنى باعتباره توتولوجيا.

7- الشخصيات الواصلة:

هي الجسر الرابط بين قطبي العملية التّواصلية و هما المؤلّف و القارئ، وفي إشارة منا الى تحديد مفهومها العام، فالشخصية الواصلة «تكون علامات على حضور المؤلّف و القارئ أو من ينوب عنهما في النص»³، فهي ثنائية تساهم في إبراز الحدث ويكون ذلك بالمشاركة بين القارئ و المؤلّف، وقد تبين لنا مدى العلاقة القائمة بين الشخصية و المؤلّف.

إلا أنه «في بعض الأحيان يكون من الصعب الكشف عن هذا النمط بسبب تدخّل بعض العناصر المشوّشة أو المقنعة التي تأتي لتربك الفهم المباشر لمعنى هذه الشخصية أو تلك»⁴، أي أنه أحيانا تتداخل بعض العناصر فتعرقّل العملية التّواصلية بين الكاتب والمتلقي.

¹ حسن مجراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء الزمن الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1990م، ص217.

² فيليب هامون، سيمولوجية الشخصيات الروائية، تر : سعيد بنكراد، ص36، 37.

³ المرجع السابق، ص217.

⁴ المرجع السابق، ص217.

ويُصنّف ضمن هذا النوع من الشخصيات، الشخصيات الناطقة باسم المؤلف، والمنشدين في التراجيديات القديمة، والمحاورين السقراطيين، والشخصيات المرتجلة، كما أنه من الصعب الإمساك بهذه الشخصيات.

أستنتج مما سبق، أن الشخصيات الواصلة هي شخصيات لازمة في كل عمل سردي، فهي بمثابة قناة اتصال بين القارئ والمؤلف والنص.

8- الشخصيات الهامشية:

هي شخصيات غير فاعلة سواء أكانت في المجتمع أم في الأعمال الفنية، فهي تأتي لسد فراغ ما، وهي شخصيات عديمة الفائدة ولا أهمية لها، وكذلك تكون قليلة الظهور، وسرعان ما تتلاشى وتُصبح شبه غائبة، فهي شبيهة بالسرّاب ما إن تظهر حتى تختفي.

يأتي حضورها في الرواية بشكل عابر، ولا تحمل دوراً ولا وظيفة تجعلها تنمو وتتطور طوال مسار أحداث الرواية، فتبدو في الرواية وكأنها وُظفت بشكل عفوي، لأنها تسد الثغرات السردية المحدودة جداً.

وقد عُرفت في "قاموس السرديات" لـ "جيرالد برنس" بأنها: «كائن ليس فعالاً في المواقف والأحداث المروية، و"السّيد" في مقابل "المشارك" participant يُعد جزءاً من الخلفية "الإطار" setting»¹.

أي أنها شخصيات غير فاعلة و لا تؤثر بأي شكل من الأشكال في العملية الروائية، بل حضورها من عدمه لا يشكل فرقاً في المتن الروائي.

إذن الشخصيات الهامشية هي شخصيات مُكمّلة، ذات أدوار صغيرة، اقتضتها طبيعة تطوّر الأحداث، حيث تقوم هذه الشخصيات بملء الفجوات أو الثغرات، وتقوم بتأدية أدوار الموصل الفني بين عناصر الرواية.

وبهذا أكون قد وصلت في تصنيفي للشخصيات إلى تحديد وضبط دور وأهمية كل واحدة منها، ومدى أهميتها وفعاليتها في البناء الفني للعمل الروائي، فلا يكتمل العمل الروائي إلا بتوفّر وتنوّع الشخصيات كونها القناع الذي يضعه الممثل لأداء وإكمال أدواره، أو الوجه المستعار الذي يظهر به الشخص أمام الغير.

¹ جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميريت للنشر و المعلومات، القاهرة، مصر، ط1، 2003م، ص159.

أستخلص مما سبق أن الشخصية هي بؤابة العمل، وأنواعها هي المفاتيح التي تسمح بالدخول إلى النص ومعرفة مضامينه و استكناه عالمه.

ثالثاً: أبعاد الشخصية الروائية

لكل شخص صفات وملامح تُميّزه عن غيره سواء كانت جسدية أو نفسية أو سلوكية، وما دامت الشخصية هي التي تُؤدي الأحداث وتقوم بالأفعال في أي عمل سردي سواء كان رواية أو قصة...

فقد أولاهها الباحثون أهمية كبيرة، فحتى في علم النفس نشأ علم يُسمى بعلم الشخصية، وهذا العلم يدرس الإنسان مُركّزاً في الوقت نفسه على الفروقات الفردية، وهناك جوانب مُتعددة للشخصية، منها ما هو فطري ومنها ما يُكتسب عن طريق البيئة و الثقافة و كذا أنواع مختلفة من السلوك.

فالشخصية نسيج مُركب من أربعة مقوّمات أساسية تتمثل في:

الجانب النفسي والذي يشمل الحياة الباطنية و الميول و الرغبات الخاصة بالشخصية.

الجانب الاجتماعي والذي يعكس واقع الشخصية.

الجانب الجسمي ويشمل مظاهر الشخصية الخارجية من مميّزات و عُيوب.

وأخيراً الجانب الفكري الذي يهتم بأفكار و عقائد و أيديولوجية الشخصية.

لذلك يتم النظر إلى الشخصية من خلال هذه المجموعة من الأبعاد كالتالي :

1- البعد الجسمي (الفيزيولوجي، الخارجي):

لهذا البعد أهمية كبرى في تحديد وتوضيح ملامح الشخصية، فهو مجموعة الصفات الجسمية التي تتصف بها كل شخصية سواء كانت هذه الأوصاف بطريقة مباشرة من طرف السارد، أو إحدى الشخصيات، أو من طرف الشخصية ذاتها عندما تصف نفسها، أو بطريقة غير مباشرة ضمنية مستنبطة من سلوكها وتصرفاتها،

هذا البعد يهتم بوصف الشخصيات من الناحية الشكلية الخارجية « و يتمثل في صفات الجسم المختلفة من طول و قصر، و بدانة و نحافة، و يرسم عيوبه و هيئته و سنه و جنسه... »¹.

الهدف من هذا البعد هو توضيح الملامح الخارجية للشخصية لتتوضح لدى القارئ، ومدى اتصال هذه الملامح بالشخصية، ورسم صورة الشخصية بشكل دقيق و واضح لدى القارئ بحيث «يُعطي البعد الخارجي للشخصية الروائية الملامح والصفات المهمة، والتي في دورها تكون صورة واضحة المعالم عن التكوين الخارجي للشخصية، وهي من الأمور التي تُعزز قيمة وجودها داخل العمل من خلال إظهار ملامحها و صفاتها و علاماتها، و كل ما له علاقة بالشخصية و دلالاتها المتعددة»².

فالبعد الفيزيولوجي هو الكيان المادي لتشكيل الشخصية في جانبها الخارجي و المرئي، «فيعمد الكاتب في الشكل الروائي إلى رسم شخصياته في تكوينها الخارجي وملاحظها المهمة التي تنطوي على أشكال لها علاقة بالرواية في رسم شخصياته من الخارج، يشرح عواطفها و بواعثها و أفكارها و أحاسيسها»³.

وعليه فإن للبعد الجسمي أولوية كبرى في رسم وتمييز شخصية عن غيرها، و يلعب دوراً وأهمية كبيرة في العمل الروائي.

2- البعد النفسي (السيكولوجي) :

يُعتبر الانسان كائن مُعقّد و مُركّب، و مُتعدّد الزوايا و الأبعاد يحتاج إلى دراسة نفسية لتحليل سلوكه، والعمليات الداخلية من شعور و إرادة، فكل شخصية تتسم بتصرفات يصعب تحديدها وفهمها، لا سيما أن السارد من خلال هذا البعد يقوم « بتصوير الشخصية من حيث مشاعرها وعواطفها و طبائعها و سلوكها و مواقفها من القضايا المحيطة بها »⁴، فتكون مواصفات الشخصية هنا سيكولوجية تتعلق بالأفكار والمشاعر والانفعالات، وهي تحوي صفات تتمركز في محيط اللاشعور للحياة النفسية.

¹ عبد القادر أبو شريفة و حسين لافي قزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر ناشرون و موزعون، عمان، الأردن، ط4، 2008م، ص 133.

² عدي جاسم أحمد، أنماط الشخصية و دورها في البناء السرد في روايات محسن الرملي، ص74.

³ المرجع نفسه، ص75.

⁴ المرجع نفسه، ص89.

البعد النفسي يأخذ دوراً مهماً في تشكيل نفسية الشخصية وطبيعة سلوكها، وطريقة تفكيرها، إذ يورثها السارد سلوكاً على شكل متلازمة قد تتطور وتنمو وتتحوّل داخل كيان الرواية، فالشخصية الروائية « تتميز على وجه العموم بكونها ذات محتوى سيكولوجي خصب، ومعقد معاً، فهي تحلّ بالتوترات والانفعالات النفسية التي تُغذيها دوافع داخلية »¹، كما نجد أن الشخصية الروائية « تعاني من تناقضات في تركيبها النفسي تؤدي إلى الاستسلام للنزوات والانقياد للرغبات الدفينة »².

كما يتمثل البعد السيكولوجي من خلال إبراز الصراع النفسي، وذلك في أشكال المونولوج المختلفة، منها المونولوج الداخلي و الذي يتميز بغياب المؤلف وسيطرة ضمير الغائب والمتكلم و المخاطب، في لحظة واحدة، و هذا يجعل المونولوج أشبه بالحلم.

أما المونولوج الغير مباشر، فيتسم بحضور الروائي وتدخله بين الشخصية الروائية والقارئ، فتكون الشخصية هي المرسل والمتلقي في الآن نفسه.

يتمثل هذا البعد في طابع الشخصية وما يميّزها عن باقي الشخصيات، كأن تكون طيبة أو شريرة، كما يتجسد فيما تقوم به وما تقوله وما يظهر عليها من انفعالات (حزن، فرح، غضب) والقارئ يهتم بنمط هذه الشخصية وفق هذه المجريات داخل العمل الروائي.

3- البعد الاجتماعي:

يضم البعد الاجتماعي بين طبيّاته الكثير من القيم، أولاً بوصفه علماً شديداً الليونة والمطاطية في تكوينه الخاص به كونه من العلوم الإنسانية، والتي تتحمل الكثير من وجهات النظر حول المجتمع وشخصية الفرد. وثانياً كونه يتلاءم مع فن قولي شديد الانتماء لعالم البشر وعلاقته بمحيطهم الاجتماعي العام، الذي يبرز علاقة هذا الكائن البشري بعالمه ومدى تلاحه من جهة، ونفوره من جهة أخرى.

يهتم هذا البعد في معاينة النص الروائي نقدياً بتصوير الشخصية من حيث مركزها الاجتماعي، ومواصفاتها الاجتماعية التي « تتعلق بمعلومات حول وضع الشخصية الاجتماعي، و ايديولوجيتها، وعلاقاتها الاجتماعية (المهنة، طبقتها الاجتماعية :عامل/ طبقة متوسطة / برجوازي / إقطاعي، وضعها

¹ حسن مجراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء الزمن الشخصية)، ص302.

² المرجع نفسه، ص302.

الاجتماعي: فقير / غني، ايدولوجيتها : رأسمالي، أصولي، سلطة...»¹، وهذا يعني أن البعد الاجتماعي لا يتوقف على إظهار الشخصية الاجتماعية من الداخل فحسب، بل يمتد إلى أن يشمل الجانب المركزي الذي تشغله الشخصية في المجتمع.

البعد الاجتماعي «يتمثل في ظروف الشخصيات الاجتماعية على نحو عام والشخصيات ودورها هذا داخل العمل الروائي، إذ يقوم على الطبقة الاجتماعية ونوع العمل الذي تمارسه»².

كما أن للشخصيات الاجتماعية نشاطات وهوايات تقوم بها داخل العمل الروائي، «كالتعليم والحياة المنزلية والدين والهيئة الاجتماعية التي تعيش فيها الشخصية، والنشاط الذي تمارسه وألوان التسلية والهوايات والقراءات والعادات»³.

من خلال هذا البعد أستخلص أن كل عمل أدبي يرتبط من حيث العلاقات بالمجتمع، وهذا يثير اهتمام القارئ، لأن الجانب الاجتماعي يُصوّر حياة أفراد عاديين، يُشاركهم المتلقي في اهتماماتهم وهمومهم وطموحاتهم وخفاياهم.

ويهتم بتصوير الشخصية من حيث مركزها الاجتماعي وثقافتها وميولها، والوسط الذي تتحرك فيه، كما أنّ هذا البعد يركز على علاقة الشخصية بالآخرين، وهم الأفراد الذين يعيشون حولها في المجتمع.

4- البعد الفكري:

يقصد بهذا البعد الانتماء الفكري للشخصية وهو الذي يوضح البنية الفكرية، كالعقيدة أو التوجه السياسي أو الديني أو الاجتماعي، فهو يمثّل: «انتماءها أو عقيدتها الدينية وهويتها وتكوينها الثقافي، وما لها من تأثير في سلوكها ورؤيتها، وتحديد وعيها ومواقفها من القضايا العديدة»⁴. إذ لا بد من تصوير الملامح الفكرية للشخصية ودراساتها وذلك لأهميتها في العمل الفني.

¹ محمد بوعزة، تحليل النص السردى تقنيات و مفاهيم، ص40.

² عدي جاسم أحمد، أنماط الشخصية و دورها في البناء السردى في روايات محسن الرملي، ص82.

³ المرجع نفسه، ص82.

⁴ حياة فرادي، الشخصية في رواية ميمونة لمحمد علي بابا، مذكرة لنيل شهادة الماستر، كلية الآداب و اللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2015م/2016م، ص42.

يعد التصوير الفكري للشخصية الروائية ذا أهمية بالغة في جانبها البنائي، لأن «الملامح الفكرية تكشف لنا الشخصية وحالتها الذهنية، وتبين ردود فكرها وتوجّهاته»¹، فهو السمة الجوهرية لتمييز الشخصيات الأدبية عن بعضها البعض، فكلما اغتنت الشخصية بملامح فكرية، كانت أكثر خلوداً وديمومة وتميزاً، وهذا التمييز يأتي من خلال الدور الفعّال الذي تؤديه هذه الشخصية.

كما يتميز هذا الجانب بـ«تعدد الشخصية الباطني، والذي يظهر من خلال القيم والأعراف التي لها فلسفة خاصة».

يساهم البناء الفكري في «تطوير الأحداث وبعث الحرارة والحيوية في المواقف المتميزة داخل العمل الروائي، لما تتميز به من ثراء فكري كبير، كونها تتصرف وتفكر وفقاً للطريقة التي يرون بها»².

من خلال ما سبق ذكره، نطلع في البعد الفكري على عال الشخصية المتمثل في جل الأفكار والاعتقادات الخاصة في الفكر والفلسفة، وطريقة طرح هذه المعتقدات وهذه الأفكار والمبادئ التي تؤمن بها الشخصية، وتسعى إلى أن تسود في مجتمعها، وذلك من أجل تكوين بُعد خاص في صياغة مجتمع يعتمد في تقاليده على أفكار معينة تختلف بين ثقافة وثقافة أخرى، إذ يُثري السارد شخصياته الروائية بثرائ فكري يترك في ذلك الأدب الأثر.

من خلال هذا البعد يُبيّن الروائي عمق العمل الذي يقوم به ويضبط رؤية العالم، من خلال تنوع الأفكار في عمله الروائي من حدث إلى آخر، ويركّز على كيفية صياغة هذا النتاج للتعبير عن قضايا المجتمع وتفاصيله الدقيقة عبر هذه الشخصيات فكل ميزة من مميزات شخصه تبعث فينا فكرة ما.

في الأخير يمكن القول بأن هذه الأبعاد مُكمّلة لبعضها البعض، فهي شبيهة بالبنيان المشدود، ونقص بُعد من هذه الأبعاد ينتج عنه خلل في البناء الفني للشخصية، فهذه الأبعاد هي أساس بناء الشخصيات في العمل الروائي، وعلى المبدع مُراعاة هذه الجوانب داخل النص، فالالتزام بالبُعد الجسمي والنفسي والاجتماعي والفكري أمر ضروري لوصف الجوانب الفنية للشخصية الروائية.

¹ بان البناء السرد في الرواية الإسلامية المعاصرة، ص 86.

² عدي جاسم أحمد، أنماط الشخصية و دورها في البناء السرد في روايات محسن الرملي، ص 96.

رابعاً: وظائف الشخصيات الروائية

يعتبر الخطاب السردى «بنية مكونة من مستويات عدة متداخلة، وتكون الشخصية من خلال النظام العلائقي للنص بمثابة الفاعل في الجملة بحيث تقوم بمجموعة من الوظائف التي يتم تمييزها عبر البنية السردية للنص الروائي، لذلك وجب إعطاء الأولوية للوظيفة، فالشخصية تتمحور حولها كل الوظائف والهواجس والعواطف والميول وهي التي تفرز الشر في السلوك الدرامي داخل عمل قصصي ما، فهي بهذا المفهوم فعل أو حدث وهي في الوقت ذاته تتعرض لإفراز هذا الشر أو ذلك الخير»¹.

والوظيفة لا تكون ذات معنى إلا إذا أخذت مكانها في الحركة والفعل للشخصية، وهذا الفعل يستمد معناه من الحدث المسرود داخل النص.

الشخصية الروائية لا تقتصر وظيفتها في تسيير أحداث الرواية فقط، وإنما تضيف عليها جمالية، وتكمن أهميتها في الكشف عن الصّلات العديدة بين ملامحها الفردية والأدوار التي تؤديها، ومن بين أهم وظائفها في الرواية:

1- فاعل الحدث:

تعد الشخصية الركيزة الأساسية في تحريك الأحداث «فما من حدث أو فعل إلا وراءه شخصية تحركه ضمن حبكة فنية لتقوية طابع التجسيد الفني المتميز بالقدرة على كشف منحى العلاقات»²، «وبما أن الحدث في الرواية هو تضارب القوى المتعارضة أو المتلاقية الموجودة في أثر معين، فإن الشخصيات الرئيسية تقوم بتجسيد هذه القوى، أو تكون مهمتها الخضوع لها، أو أن تبث فيها الحياة، ويمكن اختزالها في ست وظائف أو قوى هي:

¹ منيرة برباري، بناء الشخصيات في رواية "عرش معشق" لربيعة جلطي، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص أدب حديث و معاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2014م/2015م، ص30.

² أحمد طالب، الفاعل في المنظور السيميائي، دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران، الجزائر، ط1، 2002م، ص02.

قائد الحركة، المعارض، الموضوع المرغوب فيه أو الذي يهرب جانبه، المرسل إليه، المساعد، المحكم، وليس بالضرورة أن تتجسد هذه الوظائف جميعها دائماً في الشخصيات»¹، على اعتبار أنّ لكل شخصية نوعاً معيناً من السلوكات والتصرفات.

2- العنصر التجميلي:

يلعب هذا العنصر دوراً مهماً داخل العمل الروائي، حيث «من النادر أن تخلو الرواية من شخصيات عديمة الفائدة بالنسبة إلى الحدث، أولاً تملك دلالة خاصة، وهذه الشخصيات على الرغم من أنها عديمة الفائدة ولا وجود لها على المستوى الفني، إلا أنها تحتفظ بوظيفة تزويق المهمة، لأنها تتيح للروائي رسم لوحة جميلة، ويقدم في نفس الوقت فكرة عن فنّه»².

وهذا يعني أن وظيفة الشخصية لا تقتصر على تسيير الأحداث بل تضفي جمالية على العمل الفني، حتى وإن كانت بدون فائدة ولا نفع منها.

3- المتكلم بالنيابة:

إن أغلب الروائيين يتخذون من الشخصية القناع أو الوجه المستعار الذي يحتفون وراءه، فيتحدثون على لسان الشخصية ويشحنوها بأفكارهم ووجهات نظرهم، « فعندما نتحدث حول الشخصية المتكلمة بالنيابة عن مؤلفها، لا بد أن نتجاوز إعادة التكوين، الذي له طابع الحكاية لترجمة حياة الكاتب، وأن نتخطى اكتشاف المصادر الأدبية التاريخية، والتحليل السطحي للأفكار، لبلوغ مستويات في التعبير لا تكون مرئية لأول وهلة، وإن التأكيدات المتكررة والمتعلقة باستقلال الشخصية وسيلة الروائي في توضيح أفكاره وإيصال قراءته للواقع إلى ذهن المتلقي»³، فالشخصية الروائية تمثل قناة تواصل بين الروائي والمتلقي وأكثر من ذلك.

¹ عامر غرايبة، الشخصية الروائية (وظيفتها أنواعها سماتها)، مدونة عامر غرايبة إطلالة على الواقع والتحول، الأردن (د ط)، (د ت)، ص 05.

² المرجع نفسه، ص 05.

³ المرجع نفسه، ص 07.

اذ «تعد الشخصية نافذة للإطلالة على البنى المتجاورة في القطاع الانساني الاجتماعي الذي تشمله الإطلالة»¹، فهي تصور البيئة والوسط الاجتماعي وتكشف عن قضايا ومشاكله التي لا يستطيع السارد كشفها بطريقة مباشرة، فيحملها شخصياته التي عرضها داخل الرواية.

4- إدراك الآخرين والعالم:

تعتبر هذه الوظيفة من أهم وظائف الشخصية الروائية بالنسبة للمتلقين، « فالشخصية تمكّن القارئ من معرفة الآخرين، من خلال تصرفات الشخصية في الرواية، وتعاملها مع الأحداث والمشكلات، و ردود أفعالها تجاه القضايا والشخصيات الأخرى التي تعترض سبيلها، كما يدرك القارئ العالم من حوله، وما يدور به من أفكار وتصورات، من خلال تصوير أعماق الشخصية الفكرية والنفسية »²، أي أن الشخصية في نظر المتلقي هي وسيلة تساعد على المواجهة والتصدي لمشاكل الحياة التي تعترض سبيله، وقد يجد ذاته داخل الشخصية التي وظّفها السارد، و بالتالي تكشف له عن نقاطه الإيجابية و السلبية.

من هنا يتبين لي بأنّ الوظيفة تُشكل الحدث الذي تقوم به الشخصيات في تأدية عملها في البناء الروائي، كما تُمكن القارئ من معرفة الآخرين من خلال التصرفات التي تقوم بها الشخصية، ومن خلال تعاملها مع الأحداث داخل الرواية.

خامسا: علاقة الشخصية بالمكونات السردية الأخرى

الشخصية واحدة من العوالم التي تضيف بالضرورة إلى أن تكون مرتكزا أساسيا من مرتكزات الرواية، فمن خلالها نعرف أهمية المكان والزمان والحدث، لأنها تضيف شعورها الخاص وتقلّباتها النفسية والاجتماعية على عالم الرواية، بها يُبنى الحدث ويُعرف، ومنها يُفهم الزمان ويُكشف، ويُرى من وجودها المكان.

فالشخصية هي المحرك لكافة العناصر السردية الأخرى (حدث، زمان، مكان) وتحقق الانسجام بين هذه العناصر في النص الروائي، وفيما يأتي عرض لعلاقاتها بكل عنصر من هذه العناصر:

¹ أمال مسعودي، حادثة السرد والبناء في رواية " ذاكرة الماء " لواسيني الأعرج، مذكرة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة المسيلة، الجزائر، 2007م/2008م، ص136.

² المرجع السابق، ص 07.

1- علاقة الشخصية بالحدث:

تعرف الأحداث في نظرية السرد بأنها انتقال من حالة سردية معطاة إلى حالة سردية مختلفة، وهذا الانتقال يقوم به الفاعل وقد يقع على المفعول، والأحداث السردية هي بنى تظهر القارئ أثناء دخوله للنص عبر القراءة، « فالحدث هو مجموعة من المواقف المتعاقبة التي تتكون منها القصة، أو هو تلك السلسلة من الوقائع المسرودة سردًا فنيًا، والتي يضمّنها إطار خارجي، وترتبط الشخصية في الرواية بالحدث، إذ هي المؤدية والفاعلة له، وهي التي تحدد مساره واتجاهاته »¹، فلا توجد شخصية بدون حدث ولا يوجد حدث بدون شخصية، وهذا يكدّد العلاقة الوطيدة بينهما.

إن سلوك الشخصية وتصرفاتها يُساهم في بناء الحدث وتفعيله، كما يُساهم الحدث في تطوّر الشخصية واكتمال صورتها، وكاتب الرواية أو القصة أو أي نوع سردي آخر، لا يستطيع الفصل بين الشخصية التي بناها وبين أحداث قصّته، كما لا يستطيع أن يجعل مسار الشخصية مُنحرفًا عن الحدث العام. ويجب « أن يأتي دور الحدث مرتبطًا بالشخصية حيث تكون الشخصية متصلة به مشدودة إليه، فاعلة إياه، أو فيه، ليس هناك تابع و متبوع، سابق ولاحق، أيهما أسبق في التواجد، الحدث أم الشخصية، أيهما يتبع الآخر الشخصية أم الحدث »²، فما من تطور يطرأ على الشخصية إلا ويكون الحدث هو السبب الرئيسي فيه وكل تطور يطرأ على بنية الأحداث إلا وينعكس مدًا وجزرًا على مواقف الشخصيات الروائية ويؤثر فيها إما سلبًا أو إيجابًا، فالشخصيات هي من تقوم بالحدث.

ويعتبر الحدث من المفاهيم الأساسية في ربط عناصر الرواية، فهو مجموعة من الوقائع والأفعال، المرتبة ترتيبًا سببيًا، تدور حول فكرة أو موضوع ما، والشخصية الروائية تتحدد معالمها عبر علاقاتها المتينة والدائمة والواضحة بأحداث الرواية، على اختلاف المضامين التي تعبر عنها، وكلما كانت الشخصية على صلة بالأحداث، كلما استطاع الكاتب أن يوحد بين أجزاء عمله الفني، وتحقق معه الوحدة العضوية للعمل كله، « فالحدث هو الذي يبعث في القصة القوة والحركة والنشاط، وهو العصا السحرية التي

¹ نادر أحمد عبد الخالق، الشخصية الروائية بين علي أحمد باكثير و نجيب الكيلاني: دراسة موضوعية و فنية، دار العلم و الإيمان للنشر و التوزيع، دسوق، مصر، ط1، 2010م، ص269.

² المرجع نفسه، ص 269.

تحرك الشخصيات على صفحات القصة، وتسوق الحوادث الواحدة تلو الأخرى، حتى تؤدي إلى تلك النتيجة المريحة المقنعة التي تطمأن إليها القارئ بعد طوال التجوال¹.

الحدث هو البؤرة المركزية للشخصية، فهو يعمل على نموها وتطورها ومنحها الحياة، لتصبح ذات معنى، وتعتبر الأحداث من العناصر المهمة التي تحرك الرواية وتُعطيها بُعد جمالي مثلها مثل الشخصيات فالحدث يقوم بالكشف عن الشخصيات «ويتولد الحدث من خلال جملة من العلاقات القائمة بين الشخصيات وتناقضاتهم أو من خلال توتر علاقاتهم بمحيطهم»²، وهذا يعني أن الكاتب يبرز سلوك وأفعال شخصياته من خلال الحدث.

من خلال ما قدّمت، أستنتج أن الحدث يستحيل فصله عن الشخصية أو عزله عنها، فالروائي الذي يستطيع أن يوفق بين الشخصية والحدث ويجعلهما متساويين، هو الروائي الذي يعرف كيف يمنح لقصته النجاح، فالحدث هو مجموعة من الأفعال التي تقوم بها مجموعة من الأشخاص لكي يتحدد ويكتمل الصراع داخل الرواية، فلا يمكن إلغاء التفاعل بين الشخصية والحدث.

2- علاقة الشخصية بالمكان:

يلعب عنصر المكان أهمية كبيرة وأساسية في تحديد أبعاد العمل الروائي، حيث يسعى الكاتب إلى التوحيد بين هذا العنصر (المكان) وبين عناصر العمل الأخرى، خاصة عنصر الشخصية في الدرجة الأولى، فالحديث عن المكان في الرواية هو بمثابة الحديث عن الشخصية، ولا يمكن الفصل بينهما لأن المكان يشكل أهمية خاصة في بناء العالم الروائي، «والحال أن المكان لا يعيش منعزلاً عن باقي عناصر السرد وإنما يدخل في علاقات متعددة مع المكونات الحكائية الأخرى للسرد كالشخصيات والأحداث والرؤيات السردية»³، أي أنه يمثل العمود الذي يربط أجزاء العمل الروائي لأنه عنصر فعّال ومكوّن جوهري من مكونات العمل الفني.

إن المكان يقوم بالكشف عن أيديولوجية الشخصية وحالتها النفسية والاجتماعية، ولا يتشكل إلا باختراق الشخصيات له، فهو يظهر من خلال وجهة نظر الأبطال والشخصيات التي تعيش فيه، وهذا يؤكد

¹ عدي جاسم أحمد، أنماط الشخصية و دورها في البناء السرد في روايات محسن الرملي، ص120.

² المرجع نفسه، ص120.

³ حسن مجراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء الزمن الشخصية)، ص26.

مدى قوة العلاقة التي تجمع بين هاذين العنصرين، « فالعلاقة بين الشخصية والمكان هي علاقة ائتلاف وجاذبة حيث أن تلك العلاقة تبرز من خلال احتكاك الشخصية بالمكان، فقد تتأثر الشخصية بالمكان، وذلك من خلال انجذابها منه أو هروبها عنه، ولذلك نجد أن هناك تأثيراً متبادلاً بين الشخصية والمكان الذي تقيم فيه، وأن الفضاء الروائي يمكنه أن يكشف لنا عن الحياة اللاشعورية التي تعيشها الشخصية »¹، وهذا يعني أن الشخصية تؤثر في المكان، وهو الآخر يؤثر فيها بالضرورة، فكل مكان لا يتم فيه تفعيل الشخص لا يُعتبر مكاناً ميثاً لا حياة فيه.

المكان هو استقرار للشخصية حيث تمارس تفاعلها بحرية، ولا يقتصر دور المكان على البعد الجغرافي الحسابي فحسب بل يتعداه، لأن «الإنسان لا يحتاج فقط إلى مساحة فيزيقية جغرافية يعيش فيها، ولكنه يصبو إلى رقعة يضرب فيها المكان وتهيئته يمثلان جزءاً من بناء الشخصية، ومن اللازم أن يكون هناك تأثير متبادل بين الشخصية والمكان الذي تعيش فيه أو البيئة التي تحيط بها بحيث يصبح المكان بنية الفضاء الروائي»²، وهذا يعني أن المكان هو تحصيل حاصل لتجربة إنسانية تعيش في ذهن وخيال كل شخص.

المفهوم من كل هذا هو أن المكان يؤثر على الشخصية من خلال تصرفاتها والتحويلات التي تطرأ عليها سواء كانت ايجابية أو سلبية، وعلاقة الشخصية بالمكان في الرواية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بقضية الكاتب، والمكان أهم معالم بناء الشخصية ففيه تتأثر وتنطلق وإليه تعود.

فالكاتب يسعى إلى تصوير معالم المكان ونقل صورة حيّة لأحداثه، وتكون الشخصية هي ركيزته الأساسية في تجسيد هذه الصورة باعتبارها كائن إنساني يتأثر ويتألم ويفرح ويحزن ويندمج مع الآخرين، وهكذا تتضح العلاقة الوطيدة بين المكان والشخصيات، فهو بيئتها التي تتحرك فيه بحرية، فالمكان والبيئة والمجال الاجتماعي كل هذا له أهمية في نفس الشخصية.

3- علاقة الشخصية بالزمان:

كما ترتبط الشخصية الروائية بالحدث و المكان، ترتبط أيضاً بالزمان، حيث « يمثل عنصر الزمن في الرواية بُعداً بنائياً له خصوصيته في توضيح الحدث وإبراز سمات الشخصية وعلاقتها بالواقع، فالزمن يجعل

¹ عدي جاسم أحمد، أنماط الشخصية ودورها في البناء السرد في روايات محسن الرملي، ص106.

² المرجع نفسه، ص106.

الشخصية تتحرك في إطار محدد مما يجعلها مقيدة بواقع معين وحياة معينة¹، فالزمن يحتوي الإنسان وفيه الحياة وفيه الموت، يولد الإنسان ويكبر ويمر بمراحل كثيرة تتحرك بتحرك الزمن، وهذا يجعل الشخصية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالزمن، تعيش فيه ماضيها وحاضرها ومستقبلها وتتطور في كل الأزمنة، والزمن هو الآخر يؤثر فيها وفي طبائعها وسلوكاتها وانفعالاتها وكل ما تعيشه من حالات.

إن الزمن السردي «عبارة عن نسيج ينشأ عنه سحر، ينشأ عنه وجود، ينشأ عنه جمالية سحرية، فهو لحمه الحدث وملح السرد، وصنو الحيز، وقوام الشخصية»²، فالزمن يساعد الشخصية على تفسير وتحليل أفعالها وأقوالها، ووصف أحاسيسها نظراً لارتباطه الشديد بها.

«ويأتي الزمن الروائي في صورة متعددة ومختلفة منها ما يسمى بالزمن الحر، الذي يتحدد في التاريخ مباشرة أو تدل عليه الأحداث صراحة، ومنها ما يسمى بالزمن الطبيعي المستمد من إشارات وعلامات الطبيعة الكونية أو النباتية، ومنها ما يسمى بالزمن التاريخي الذي يركن فيه الكاتب إلى الوقائع والأحداث التاريخية، وفيه تبدو الشخصيات محملة بروح الفترة وأحداثها»³، وقد يصبح الزمن محدوداً على بُعد معين في الشخصية، وهذا البعد يدور غالباً حول الماضي والاسترجاع الذهني وفيه يصبح الزمن ثابتاً في حين أنه يتجه نحو الوراء، والملاحظ أن الزمان والمكان أصبحا من دلالات الشخصية الروائية، وأصبح الكتاب يعتمدون عليهما لتوضيح الشخصية والتعريف بها.

أستخلص مما سبق أن علاقة الزمن بالشخصية علاقة متينة ووثيقة الصلة، وفي الوقت نفسه هي علاقة متغيرة بتغير فعل الشخصيات وآليات السرد الأخرى، فالزمن مكون أساسي في بناء الشخصية، وهو الذي يحدد علاقتها بباقي الشخصيات، ويربطها مع باقي المكونات السردية ليحقق لها الفعالية السردية.

ما يمكن قوله كحوصلة، أن الشخصية الروائية تكتمل بارتباطها مع أهم العناصر السردية الأخرى من حدث ومكان وزمان ولا يمكن الفصل بينها وبين هذه العناصر، وإلا حدث خلل في بناء الرواية.

¹ نادر أحمد عبد الخالق، الشخصية الروائية بين علي أحمد باكثير ونجيب الكيلاني: دراسة موضوعية وفنية، ص 417.

² غريد الشيخ، الأدب الهادف في قصص وروايات غالب حمزة أبو الفرج، ص 430.

³ المرجع السابق، ص 417.

الفصل الثاني: بنية الشخصية في رواية " يوتوبيا "

- مفهوم بنية الشخصية الروائية.
- الشخصيات في رواية يوتوبيا وأبعادها.
- أثر المكان على الشخصيات.
- الصراع.

أولاً: مفهوم بنية الشخصية الروائية

1- مفهوم البنية: يقصد بالبنية تركيب شيء من أجزاء على شكل معين، يحدده الشخص حسب تصوره لهذا الشيء بالذات، بناءً على رؤية محددة، والبنية أيضاً هي الشكل أو الهيئة، وقد عرفت هذه الكلمة انتشاراً كبيراً بدءاً من ستينيات القرن الماضي، وغزت مجال اللغة والأدب والعلوم الأخرى.

«ظهر هذا المصطلح كنظام من العناصر المحققة فنيا وموضوعة في تراتبية معقدة لا تجمع بينها سيادة عنصر معين على بقية العناصر، وهناك مفهومان للبنية:

الأول: تقليدي يراها نتاج تخطيط مسبق فيدرس آليات تكوينها.

الثاني: حديث ينظر إليها كمعطى واقعي فيدرس تركيبها وعناصرها ووظائف هذه العناصر والعلاقة القائمة بينها»¹، وتعني البنية أيضاً «بناء النص بناءً فنياً والمتمثل في عباراته وتراكيبه وجمله وصوره وخياله وموسيقاه وأفكاره ودلالاته وعواطفه»².

أما في قاموس السرديات، فعرفت بأنها «شبكة العلاقات الحاصلة بين المكونات العديدة للكل وبين كل مكون على حده والكل، فإذا عرّفنا الحكيم بوصفه يتألف من " قصة "، و"خطاب" مثلاً، كانت بنيته هي شبكة العلاقات بين "القصة" و"الخطاب"، "القصة" و"السرد"، و"الخطاب" و"السرد"»³، فالبنية هي بناء عمل أدبي مستقل يهدف إلى تحليل النص بعيداً عن السياقات الخارجية.

2- مفهوم الشخصية : الشخصية هي ما يميز الفرد عن سواه، أو هي مجموع الصفات الجسمية والعقلية التي يتصف بها الإنسان، والمميزات التي تميز شخص عن آخر خيرة كانت أو شريرة و بمعنى آخر يمكن تسمية الشخصية « مجموع الصفات التي كانت محمولة للفاعل من خلال حكي، و يمكن أن يكون هذا المجموع منظماً أو غير منظم، في الحالة الأولى تسمح عدد من الأنماط التنظيمية بملاحظتها كما نجد عند بوكاس بلزك أو عند دوستوفسكي، أن الصفات تؤلف بطريقة مختلفة و من ناحية أخرى فإن هذا التنظيم بإمكانه أن يشكل موضوع تحديدات الكاتب الواضحة (صورة الشخصية) أو سلسلة من التحديدات

¹ لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، لبنان، ط1، 2002م، ص37.

² محمد عبد الغني المصري، تحليل النص الأدبي بين النظرية والتطبيق، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2002م، ص19، 20.

³ جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر : السيد إمام، ص 191.

الموجهة للقارئ الذي يجب عليه إتمام عمل إعادة التكوين ؛ أخيراً، يمكن أن يكون مفروضاً من قبل القارئ نفسه من دون أن يكون حافزاً في النص¹، فالشخصية هي المحرك الرئيسي الذي يدفع بتطور الأحداث داخل النص الروائي، ولا يمكن تصور رواية دون شخصيات.

«إن الشخصية هي التي تكون واسطة العقد بين جميع المشكلات الأخرى، حيث أنها هي التي تصطنع اللغة، وهي التي تبث أو تستقبل الحوار، وهي التي تصطنع المناجاة (المونولوج) وهي التي تنجز الحدث»²، فالشخصية هي كل مشارك في أحداث الرواية.

أما في الحديث عن بنية الشخصية في الرواية، نشير إلى طريقة تصور الكاتب لشخصياته وتطورها خلال القصة، وتتضمن بنية الشخصية الروائية عوامل كثيرة مثل السلوك والمظهر الخارجي والعواطف والعقلية، فكل شخصية تتميز بصفاتها الفريدة وتفاعلاتها مع الأحداث والشخصيات الأخرى في الرواية، وهذا يساعد القارئ في الغوص داخل عوالم الرواية والتعاطف مع شخصياتها.

ثانياً: الشخصيات في رواية يوتوبيا وأبعادها

لكل عمل روائي شخصيات خاصة تبرز أفعالها و أدوارها و طبيعة تصرفاتها، وقد تنوعت الشخصيات في رواية " يوتوبيا " بين شخصيات رئيسية و أخرى ثانوية، و تعددت أبعادها و هذا ما سأطرق إليه في هذا التقديم :

1- الشخصيات اليوتوبية :

أ- شخصية البطل : وهو الشاب اليوتوبي، أهم شخصية في الرواية باعتباره المحرك الأساسي للأحداث فيها، استطاع الكاتب أن يقدم البطل بصورة مختلفة عن باقي الشخصيات، فهذا الشاب اليوتوبي هو الشخصية الرئيسية التي ترجمت الفكر اليوتوبي الذي يعتبر انعكاساً للواقع الاجتماعي والنفسي الذي تعيشه شخصيات الرواية.

¹ تزفيتان تودوروف، مفاهيم سردية، تر: عبد الرحمان مزبان، منشورات الاختلاف، مديرية الآداب و الفنون، الجزائر، ط1، 2005م، ص74.

² عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، ص91.

هو شاب من مدينة "يوتوبيا" و التي تصدر اسمها عنوان الرواية، الشيء اللافت للانتباه هنا هو أن الكاتب لم يذكر اسم البطل في الجزأين الأولين المعنويين ب "الصيد" و "الفريسة"، مع العلم أن الرواية قُسمت إلى خمسة أجزاء، اكتفى الكاتب بذكر الحياة التي يحظى بها هذا الشاب في مدينته الفاضلة، و قد عبر الكاتب عن نقطة تجاهل ذكر اسم هذه الشخصية فبالنسبة له لم تعد هناك قيمة للأسماء، و كأن في هذا المجتمع الفاضل قد تم إلغاء الأسماء و الاستغناء عنها، لأن سكان يوتوبيا يعيشون حياة واحدة، حياة الترف و الرفاهية و المثالية، و في ذلك يقول الشاب اليوتوبي : « من أنا ؟ .. دعنا من الأسماء .. ما قيمة الأسماء عندما لا تختلف عن أي واحد آخر؟ »¹.

كما أن البطل عاطل عن العمل ولا يحتاج لأن يمارس عملا ما، لأنه غني جدا مثله مثل غيره من شباب هذه المدينة، فلا أحد في يوتوبيا يعاني من شبح الفقر وكل الناس هناك أغنياء وهذا الغنى قد سبب للبطل نوع من الملل.

شخصية البطل شخصية عنيدة ولا تخضع لأي قوانين ولا شيء يستطيع ردعه، حتى أبويه لا يملكان سلطة ضبطه أو توجيهه.

يقول: «أنت مواطن (يوتوباوي) ذوبتك الحياة المترفة و ذوبك الملل، فصرت لا تعرف الأمريكي من المصري من الاسرائيلي...صرت لا تعرف نفسك من الآخرين..لولا بقايا الشهوة في عروقك لما عرفت الذكر من الأنثى...»².

ان وسائل الترفيه والتّعم والحياة المترفة في يوتوبيا أدّت إلى تشابه كل من يعيش فيها، لأنهم يعيشون نفس نمط الحياة، نفس الوسائل، نفس البيوت، وكلهم فاحشي الثراء، لهذا لا تستطيع التمييز بين المصري والأجنبي.

الملل و الروتين اللذان اكتسحا يوتوبيا جعللا البطل في رغبة شديدة لتجربة شيء استثنائي، لعلّه يخرج من هذا الجو الذي يعيش فيه، تجربة فريدة من نوعها، إنها تجربة الصيد، و يخبر أمه بذلك و التي بدورها تحاول منعه: «أنا راغب في تجربة الصيد..»

¹ أحمد خالد توفيق، يوتوبيا، دار بلومزبري - مؤسسة قطر للنشر، الدوحة، قطر، ط8، 2018م، ص14.

² المصدر نفسه، ص14.

شَهَقَتْ.... قالت في ذعر و قد اتسعت عيناها: هل ينقصك شيء؟...معك من المال ما يكفي لتشتري يوتوبيا كلها.. وما حولها.. لديك من الفتيات ما يُشبع شهوات سلطان فحل من سلاطين ألف ليلة وليلة... والفتيان أيضا.. لديك من وسائل التسلية ما يسري عن جيش من اليتامى الباكين، وأحفادهم كذلك، اذن ما المشكلة؟ المشكلة هي هذا كله.. لدي كل شيء.. حان وقت الشيء الوحيد الذي لم أجربه ولم أظفر به..¹، ان هواية الصيد ليست بشيء جديد أو غير مألوف، لكن الصيد الذي يمارسه شباب يوتوبيا ليس صيد الحيوانات الذي نعرفه، فالصيد الذي يرغب البطل بتجربته مثل غيره من شبان مدينته هو صيد البشر، تجربة فريدة من نوعها يمارسونها لكسر الروتين، و قد عنون الكاتب الجزء الأول و الثالث و الخامس بـ "الصيد" مُشيراً بهذا اللقب إلى الشاب اليوتوبي (البطل).

أعطى الكاتب لهذه الشخصية اسماً في الجزء الثالث "علاء"، لكن هذا الاسم ليس بالضرورة الاسم الحقيقي للبطل، و هذا يظهر من خلال الحوار الذي دار بينه و بين الشخصية التي تؤدي دور البطولة الثانية «ما اسمك؟ قلت بلا اكتراث: "علاء"، ابتسم في خبث وقال: طبعاً، لو حسبت أنني سأصدق لحظة واحدة أنك علاء فأنت ترى في وجهي غباء، لكن لا يهم.. لا قيمة للأسماء إلا في جعلك تعرف أنني أوجه لك الكلام.. سنفترض أنك علاء ولتكن هي مها.. علاء ومها.. جميل.. هل أنتما أخوان؟.. سأفترض هذا كذلك...»².

شخصية "علاء" هي أهم شخصية في الرواية، لأنها تمثل واقع الحياة في يوتوبيا، كما يعكس "علاء" تفكير شباب يوتوبيا وما يمارسونه من أفعال غير أخلاقية تحت مُسمى المجتمع المثالي، وهذه الشخصية قامت على أربعة أبعاد وهي:

أ-1 البعد الفيزيولوجي (الجسمي) للبطل "علاء":

كما هو معروف أن هذا البعد له أهمية في توضيح ملامح الشخصية وتقريبها إلى ذهن القارئ، كذكر اسمها وسنّها وكل ما له علاقة بالملامح الخارجية والمظهر العام.

¹ الرواية، ص 27.

² الرواية، ص 95.

قدم الكاتب وصفا خارجيا دقيقا لهذه الشخصية و الملاحظ هنا من خلال هذا الوصف، أن الشكل الذي قدّمه الكاتب للبطل " علاء " هو ليس شكله الحقيقي و الطبيعي إنما شكل اصطناعي، يقول الشاب اليوتوبي "علاء" واصفا شكله : « أقف أمام المرأة.. أتأكد أن شعري حليق بطريقة هنود الموهيكان الشهيرة.. أصلع على جانبي الرأس والخصلة البنفسجية العالية في المنتصف مثل ديك برّي ثائر.. الصدر عار إلا من عدة قلائد عملاقة.. هناك جماجم و أيقونات من سحر الفودو و.. لست عابد شيطان.. في الواقع أنا لا أصدّق وجود شيء على الإطلاق، لكن هذه الأشياء تبدو مثيرة على صدري...»¹.

يواصل "علاء" الحديث عن شكله الغريب الذي تعرض للعديد من التغيرات، يقول: «الوشم كذلك غريب.. إنه يروق للفتيات هنا.. السروال المصمم بعناية بحيث يُظهر في مظهر أكثر فحولة، وهو قصير يُظهر رجلي الساقين.. أحيانا أمارس الحفاء لكن ليس اليوم.. أعلق القرط الجديد في غضروف أنفي والقرط الآخر في حاجبي.. لن أضع حلية اللسان اليوم..»²، اذن البطل يهتم بمظهره كثيرا وهذا يجعله في غاية الرضا والسعادة، لكن هذه الصورة التي قدمها لنا الكاتب، هي صورة مخيفة لا تبعث الانبهار أو الاعجاب بهذه الشخصية، فمن خلال وصف البطل لنفسه أول ما يخطر في ذهن القارئ هو صورة إنسان منحرف ولا شيء غير ذلك.

تزداد تصرفات البطل غرابة فهو يقوم بأشياء لا تمثل الرجل المصري بتاتا، كوضع العدسات وتلوين الأسنان وغيرها «ثم بصبر أقوم بتلوين أسناني.. اللون الأحمر للنايين والأصفر للقواطع.. الأزرق للضروس.. هذه الصبغة ممتازة ولا تزول بسهولة.. يقولون إنها غير سامة.. من يبالي بهذا؟.. ليتها كانت سامة..»³، ما ألاحظه في شخصية "علاء" أنه يقوم بتغيير شكله لجذب الانتباه وكسر الروتين، وليبدو مظهره غريبا يوحي بالشر، يقول أيضا: «أضع العدسات الملتصقة الجديدة التي تجعل لون العينين أبيض.. تأثير مثير للفتيات أن ترمقن بعيون مبيضة كأنك الموت.. هذا يقهرهن فعلاً..»⁴ فسلوك ومظهر هذه الشخصية يبرز مدى التفاهة التي حفت حياته من جميع جوانبها بسبب توفر كل شيء، وقيامه بتغيير شكله كأنه نوع من الطقوس التي لا نألفها عادة سوى في الافلام هي أشياء لا تمثل المجتمع المصري المسلم اطلاقا.

¹ الرواية، ص12.

² الرواية، ص12.

³ الرواية، ص 13.

⁴ الرواية، ص13.

أما بالنسبة للسن فلم يحدد الكاتب العمر الفعلي للبطل "علاء"، حيث يقول: «ستّة عشر عاما من عمرك وأنت لا تنتمي إلا إلى يوتوبيا... أنا لم أعد طفلا لقد تجاوزت السادسة عشرة...»¹، ندرك هنا بأن الشاب اليوتوبي صغير في السن وهو في العقد الثاني من العمر أي في مرحلة المراهقة.

من الأشياء التي ميّزت شكل البطل كذلك، الجرح على جبينه الذي حصل عليه من خلال عمليات التجميل والذي أصبح موضة في يوتوبيا، يقول السارد: «أتأكد من أن الجرح على جبیني مفتوح.. أعالج حاقته بعناية ل يبدو دائما.. إن الجروح مثيرّة بلا شك.. ظهرت هذه الموضة منذ عامين وصار لها متخصصون.. المهم أن يبدو الجرح بشعا قدر الإمكان ويبدو صناعيا كذلك حتى لا يشمئز من يراه.. هذا فن حقيقي... هذا الجرح أجراه لي طبيب اسرائيلي متخصص في هذا الفن...»²، يبدو أن هذه الشخصية ترى الفن والجمال من خلال هذه الأشياء الغريبة التي لا تمتد بصلة إلى مفاهيم الجمال ولا الفن.

استطاع "أحمد خالد توفيق" أن يصور لنا طبيعة الحياة في يوتوبيا من خلال هذه الشخصية، ووصفها بدقة من خلال مظهرها ولباسها وسلوكها واهتمامها بالأمر الغريبة، وقد جعل الكاتب شخصية البطل "علاء" دراميّة حيوية غير جامدة، ما سهل على القارئ تحيّلها والشعور بها.

أ-2 البعد النفسي (السيكولوجي) للبطل "علاء":

من خلال شخصية "علاء" يلفت الكاتب لظاهرة قد شاعت في المجتمع اليوتوبي، وهي انصهار الأنا أي انصهار ضمير الفرد داخل ضمير الجماعة، لأن الجميع يعيش نفس نمط الحياة في يوتوبيا، فلا فرق بين هذا وذاك، كلهم نسخة واحدة في مجتمع واحد يُعرف بطبقة النبلاء، وهذه الحياة المثالية في نظرهم قد سببت مجموعة من الاضطرابات النفسية، قد صوّرها الكاتب لنا من خلال شخصية "علاء".

"علاء" يعيش نوعا من الشذوذ في التفكير، فهو الشاب الوحيد في يوتوبيا الذي يقرأ الكتب، لكنه يقرأ لكسر الملل و الروتين و ليس بهدف المطالعة و اكتساب الوعي و الثقافة، و عدم اهتمامه بمحتوى الكتب دليل على أن اللاوعي هو القوة المحركة لكل تصرفاته، يقول : « إن القراءة بالنسبة لي نوع رخيص من

¹ الرواية، ص14.

² الرواية، ص13.

المخدرات. لا أفعل بها شيئاً سوى الغياب عن الوعي. في الماضي - تصور هذا - كانوا يقرءون من أجل اكتساب الوعي»¹، فالقراءة مجرد مخدر يلجئ إليها للهروب من عالمه.

يقول: «أصحو من النوم.. أفرغ مثانتي.. أدخن.. أشرب القهوة.. أحلق ذقني.. أعالج الجرح في جبهتي لبدو مريعا.. أضاجع الخادمة الأفريقية.. أتناول الافطار.. أصب اللبن على البيض و أمزق كل هذا بالشوكة.. ألقى بالخليط المقزز في القمامة.. أئنأب.. أضحك.. أبصق.. ألتهم اللحم المحمر.. أدس إصبعي في حلقي.. أدخل غرفة نوم لارين لأفرغ ما بمعدتي على البساط.. أضحك.. أدس إصبعي في أذني.. آخذ زجاجة ويسكي من البار و أجرع منها.. أرقص.. أترنح.. أقف فوق الأريكة.. أتقلب على البساط.. أقرأ الجريدة التي لا تريد على اجتماعيات يوتوبيا...»²، هذه السلوكات الشاذة و المعادية للقيم الأخلاقية والانسانية التي يقوم بها البطل، سببتها الاضطرابات اللاشعورية و التي جعلته يقوم بأي شيء بدون مبالاة، ويكرر نفس الأفعال كل يوم، شرب الخمر و تعاطي المخدرات، الرقص، الضحك، و غيرها من الطقوس الغريبة «أخرج أنبوب الفلوجستين.. أصب قطرات على جلدي.. أنتشي.. أرى النيران الخضرة... أضحك... أمشي عاريا في الردهة.. ألبس ثيابي.. أرسم على الجدار بقلم الفحم شعارات تقول : اقتلوا البيض.. لا أعرف معنى هذا ولا من هم البيض، لكنهم هكذا يفعلون في السينما..»³، فهذه الشخصية تقوم بكل هذا بحثا عن المتعة غير المحدودة، للوصول إلى السعادة المطلقة من خلال اطلاق العنان لمختلف الغرائز الفطرية، ويؤدي هذا إلى نوع من التشبع الذي يجعلها تعيش في حالة من الروتين لأن نمط الحياة الذي تبناه "علاء" انعكس على تركيبته النفسية، مما جعله يصنّف ضمن نمط الشخصية السيكوباتية أو الشخصية المعادية للمجتمع، و التي تعرف بأنها: «الشخصية التي يتميز صاحبها بعدم الاستطاعة على مقاومة أي إغراء و ثورته على تقاليد المجتمع بل على كل شيء قصد إرضاء أنانيته المفرطة و التي لا يبالي معها بألم الآخرين»⁴، أي هي الشخصية التي تمارس السلوكات الخارجة عن قواعد المجتمع الإنساني، لكن يوتوبيا سمحت بممارسة هذه السلوكات كشيء عادي، ولا يحاسب عليه القانون إن وجد طبعاً، فشباب يوتوبيا يجدون المتعة والإثارة في ممارسة هذه الانحرافات،

¹ الرواية، ص14.

² الرواية، ص 25.

³ الرواية، ص26.

⁴ أحمد عكاشة، علم النفس الفسيولوجي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط5، 1977م، ص254.

و "علاء" كغيره من الشباب اليوتوبيون جرب كل أنواع الانحرافات الممكنة بغرض التسلية يقول: «عاشرتُ كل فتاة راقية لي، وجربتُ كل أنواع المخدرات حتى الفلوجستين الجديد الوارد من الدانمارك، الذي له رائحة الليمون... كنت قد بدأت تجاربي بالماريچوانا.. لا بأس بها.. جربت عقار إكستازي وجربت LSD.. جربت عقاقير كثيرة جدا.. نبتاعها من الحراس الأمريكيين، ولكن مشكلة المخدرات هي أنها تفقد إثارها ما دامت متاحة..»¹.

إذن ظاهرة تعاطي المخدرات و ممارسة المحرمات هي شيء روتيني في يوتوبيا، و هذا المجتمع المثالي لا يخضع لأي قيود و ضوابط، فكل ما هو غير أخلاقي مُباح، و البطل يمارس الرذائل دون وعي لأنه يترك الغريزة تُسيّر حياته و تتحكم في تصرفاته، والملاحظ هنا هو أن "علاء" شخص مُنحل أخلاقيا ولا يُدرك أي شيء عن القيم و الأخلاق الانسانية.

"علاء" أيضا لا يحترم والديه ولا يعترف بهما، و هذا دليل على أنه شخص غير أخلاقي، نرجسي ومغرور، و هذا واضح من خلال المقاطع التالية : « في يوتوبيا ما زالت الأم هي الأم.. لا يمكنك التخلص منها..»²، « للمرة الألف اسمه بالنسبة لك بابا و ليس "مراد".. أنا أسمح لك بأن تناديني بإسمي بدلا من ماما لكي أحتفظ بصدقتك، لكن هناك حدودا يجب ألا تتجاوزها.. و أنا لن أسمح لك بهذا..»³.

« مراد هو الرجل الذي يصدر الأوامر لأرفضها و يعطيني المال.. ما أهمية سلوكه الأخلاقي ؟.. أنا لست مسؤولا عن أخلاق أبي.. لن أناسبه على كل حال....»⁴.

« ليست الأبوة شيئا عظيما لهذا الحد.. بوسعي أن أكون أبا لألف ابن لو أعطيتني ألف امرأة، و لأكون لك شاكرا...»⁵، فبطل الرواية يفتقر للأخلاق و القيم التي تفرض احترام و طاعة الوالدين.

¹ الرواية، ص16.

² الرواية، ص 26.

³ الرواية، ص28.

⁴ الرواية، ص46، 47.

⁵ الرواية، ص17.

إن الترف والرفاهية والمكانة العليا التي حصل عليها أبناء يوتوبيا انعكست على حياتهم النفسية، فرغم توفر كل شيء إلا أنهم يشعرون بالإحباط واليأس والملل القاتل، وهذا ما حصل مع بطل أيضاً، ولا بد أن هذا الحال الذي وصل إليه يعود إلى عدم قناعته بذاته وسعيه وراء المثالية والكمال.

كما أن شخصية "علاء" شخصية عدوانية سادية تميل إلى العنف وهذا واضح من خلال سلوكه ومظهره، ومع كل سلوك عدواني يقوم به يجد اللذة والمتعة، كل هذا بسبب اللجنة الصناعية التي أسسها كبار يوتوبيا لأبنائهم ليؤمنوا لهم الحياة الراعدة و المثالية، و التي كانت نتيجتها كارثية،

يقول : « و ماذا بوسعك أن تفعل في هذه اللجنة الصناعية ؟ .. تنام .. تتعاطى المخدرات .. تأكل حتى يزهرق الطعام أنفاسك .. تقيء حتى تتمكن من معاودة لذة الأكل .. تمارس الجنس (من الطريف أن تلاحظ كيف يجعل الملل سلوكك الجنسي عدوانيا ساديا.. »¹.

من أهم الأشياء التي كان يقوم بها "علاء" هي سماع أغاني الأورجازم، و هي نوع من الموسيقى الصاخبة التي تُدخله في دوامة من الإثارة، و تفصله عن العالم الخارجي، و قد ذكر الكاتب مجموعة من مقاطع أغاني الأورجازم :

« عندما تنفتح المقابر و تخرج الشياطين ..

عندما تتناثر جماجم الأطفال في السهول ..

عندما تتلوث أجنحة الملائكة بالدم، و تمارس سندريلا البغاء ..

عندما يعلن بعزبول أن الحين قد حان ..

عندها فقط يمكنني أن أغمض عيني مستريحاً ...

و أموت.....»²

¹ الرواية، ص 18.

² الرواية، ص 29.

هذه الأغاني تشجع على العنف و تجعله عدوانيا، و هذا العنف لا يقتصر على العنف اللفظي فقط، بل يتعداه إلى العنف الجسدي الذي يصل إلى القتل دون الشعور بتأنيب الضمير أو الانزعاج، ما يجعل هذه الشخصية سيكوباتية من الدرجة الأولى، و من أهم رغباته أيضا كما ذكرت سابقا هو خوض تجربة صيد الأغيار (قتل البشر)، و تعطّشه للموت، فيقول : « الموت.. اللعبة العظمى التي لم نجربها بعد... »¹.

« هذا ما أريده.. الخطر.. الموت »².

« ليس صيد البشر غريبا إلى هذا الحد.. أنا قرأت عن هذا الموضوع كثيرا... »³.

استطاع الكاتب تصوير الانفعالات العدوانية لهذه الشخصية و الاضطرابات النفسية لأبناء المجتمع الرأسمالي، الذين جُردوا من المشاعر و الأحاسيس و القيم، كما صور لنا الفساد الأخلاقي الذي ساد في يوتوبيا نتيجة الولع بالمثالية و الكمال.

إن المجتمع الذي خلفته يوتوبيا هو مجرّد مجتمع آلي تحكمه المظاهر الصناعية و المصالح الشخصية، و هذا انعكس على أحوالهم النفسية و أحدث خللاً في الموازنة بين عالمهم المادي و عالمهم النفسي.

أ-3 البعد الاجتماعي للبطل "علاء" :

يقصد بهذا البعد « انتماء الشخصية إلى طبقة اجتماعية »⁴، و كذا العلاقات القائمة بين الشخصيات، الشاب اليوتوبي "علاء" ينتمي إلى مجتمع يوتوبيا الفاضل و المثالي، فمدينة يوتوبيا يعيش فيها شخصيات ذات نفوذ و سلطة، و هذا المجتمع الرأسمالي ينظر للفقراء نظرة يملئها الاحتقار حيث يعاملون الأغيار كالحوانات.

شخصيات هذا المجتمع يتبادلون مشاعر الكراهية، فالأبناء لا يحبون آباءهم و لا يحترمونهم، و خير مثال على ذلك بطل الرواية "علاء" المتمرّد على والديه و كما أشرت سابقا "علاء" لا ينادي والديه باللقب المتعارف عليه (أبي) و (أمي)، بل يناديهما باسمهما "لارين" و "مراد" و هذا سلوك غير أخلاقي يدل على

¹ الرواية، ص12.

² الرواية، ص35.

³ الرواية، ص 36.

⁴ محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2001م، ص573.

عدم البر بالوالدين، فالمجتمعات العربية خاصة المسلمة منها لم تألف هذا النوع من السلوك مع العلم أن "علاء" هو شاب مصري و لكن سلوكه لا يمثل مجتمع مصر بتاتا، كما ألاحظ أن في هذا المجتمع اليوتوبي لا يملك الآباء أي سلطة على أبنائهم و لا يراقبونهم ولا يتحملون سوء أفعالهم و هذا ما يوضحه الكاتب في هذا المقطع : « لم يعتد أبواي مراقبتي بهذا الصدد... لا أحد يتدخل في حياتي على كل حال.. من حقي أن أتعاطى أي شيء بأي كمية و بأي ثمن، و إلا فما كان عليهما أن ينجباني...»¹.

العلاقات الجنسية بين الفتيات و الشباب خارج نطاق الزواج مباحة في يوتوبيا، و هي شيء عادي بالنسبة لهم، و بطل الرواية "علاء" تجمععه علاقات جنسية عديدة مع فتيات يوتوبيا، فيبدو أن السلطات العليا المتحكمة في هذا المجتمع تشجع على الانحراف و الرذيلة، يقول السارد : « اليوم أخبرت (لارين) أن سوزان حبلى... أمس الفتاة فتأتيني بعد شهر لتقول إن الأعراض زارتها.. ما من فتاة فوق الثانية عشرة هنا لم تجرب هذه الأعراض و تألفها.. »².

(سوزان).. (كاتي)... (مايا)... (جرمينال)... لكني أفضل الأخيرة لسبب لا أدريه.. ليس الحب طبعاً.. مثيرة جنسيا ؟.. ربما.. لكني لم أعد أعرف إن كانت الفتاة مثيرة أم لا ؛ لأنهن يتشابهن في كل شيء...»³.

الحياة الاجتماعية في يوتوبيا تطابق الحياة الاجتماعية عند الغرب، و هذا راجع للتأثر الكبير بهم والانبهار بنمط عيشهم، و هذا النمط لا نجده في مجتمعاتنا العربية خاصة المجتمع المسلم، فمجتمع يوتوبيا مجتمع فاسد يشجع أفرادها على الانحلال الأخلاقي و الصورة التي قدمها الكاتب لنا عن هذا المجتمع لا تمثل قيم و مبادئ المجتمعات المسلمة.

الغنى و الترف الذي ينعم بهما البطل و أقرانه سمح لهم بتجربة كل ملذات الحياة بعيدا عن الفقر و الجهل المتواجد خارج أسوار يوتوبيا، يقول : « (يوتوبيا)... المستعمرة المنعزلة التي كونها الأثرياء على الساحل الشمالي ليحموا أنفسهم من بحر الفقر الغاضب بالخارج، و التي صارت تحوي كل شيء يريدونه...»⁴.

¹ الرواية، ص16.

² الرواية، ص17.

³ الرواية، ص17.

⁴ الرواية، ص19.

المخدرات و العقاقير و الخمر هم وسيلة البطل للهرب مؤقتا من عالمه، و الغريب أن هذه الآفة منتشرة في يوتوبيا و الجميع يتعاطى لأن هذه المدينة لا تخضع للقانون ولا وجود لأي قواعد صارمة لردع هذه الآفة، يقول السارد : « هكذا جلست ذات ليلة مع باقي الشلة نتعاطى الفلوجستين.. رائحة الليمون الواهنة تملئ المكان...»¹.

القتل كغيره من الجرائم مباح أيضا في هذا المجتمع، وكما ذكرت سابقا البطل يريد خوض تجربة قتل الأغيار واحضار تذكار من هناك، يقول: «برغم أن الصيد غير قانوني في يوتوبيا، فإن الكبار كانوا يتجاهلون ما دمنا لا نكشف عنه علناً.. وهو شعار يوتوبيا العام: افعل ما تريد طالما لم تعتد على مال سكان يوتوبيا..»².

جسد لنا الكاتب صورة المجتمع الفاسد من خلال شخصية "علاء"، هذا المجتمع الذي يعيش أفرادها على ممارسة المحرمات نتيجة التأثير بثقافة الغرب تحت مسمى المجتمع الفاضل، مما أحدث خللاً وانكساراً في الحياة الاجتماعية في يوتوبيا.

د- البعد الفكري للبطل "علاء":

يعد التصوير الفكري للشخصية ذا أهمية كبيرة في جانبها البنائي، لأن هذا البعد يكشف لنا الأفكار والاتجاهات التي تبنتها هذه الشخصية، سواء أكانت دينية أو ثقافية أو وطنية أو طائفية، وكذا تأثير هذه الأفكار على سلوكها و رؤيتها.

شخصية "علاء" لا تتصف بالانتماء، فلا انتماء لها لمكان أو دين ولا تتقيد بعادات أو تقاليد مضبوطة، أي لا وطن لها، يقول السارد: «ستة عشر عاما من عمرك وأنت لا تنتمي إلا إلى يوتوبيا.. أنت مواطن (يوتوباوي) ذوّبتك الحياة المترفة وذوّبك الملل، فصرت لا تعرف الأمريكي من المصري نت الاسرائيلي... صرت لا تعرف نفسك من الآخرين..»³، الملاحظ هنا أنه بالرغم من تواجد يوتوبيا في مصر، إلا أن سكانها متعدّدو الجنسيات وهذا دليل على أن يوتوبيا محتلة من طرف سلطات كبرى خفية، لذلك لا انتماء لها لوطن ولا دين لشعبها، ويتم حراسة أسوار يوتوبيا المنعزلة عن العالم، من طرف الأمريكان مما أدي إلى نشر الثقافة الغربية هناك وطمس الهوية العربية.

¹ الرواية، ص34.

² الرواية، ص 36.

³ الرواية، ص14.

"علاء" على عكس شباب يوتوبيا يحب المطالعة، و الملاحظ من خلال ما ذكر الكاتب في الرواية، أنه شاب يتميز بالذكاء و مثقف، فهو الأكثر اطلاعا على الكتب، و لقد تجاهل الكاتب ذكر ما إن كان شعب يوتوبيا الفاضل مثقف أم لا، فكما نعلم، لطالما عُرفت المجتمعات الفاضلة عبر العصور بالاطلاع على العلوم، و الاهتمام بالكتب و الثقافات الأخرى، على عكس المجتمع الفاضل المذكور في روايتنا، الذي سادت فيه التفاهة و الفساد، يقول البطل "علاء": « قال لي سالم بيه : أنت تقرأ كثيرا.. أنت مجنون.. قلت له إن القراءة بالنسبة لي نوع رخيص من المخدرات. لا أفعل بها شيئا سوى الغياب عن الوعي... أنا لم أعد طفلا.. لقد تجاوزت السادسة عشرة.. قرأت كل كتاب وقع في يدي حتى اكتفيت.. إن الكتب سلعة نادرة هنا، لكنني وجدت كنزا منها عند سالم بيه رئيس تحرير تلك الجريدة... و قد بدأت القراءة على سبيل التحدي لأن مراد لا يقرأ و كذا لارين، من الجميل أن تفعل شيئا لا يطيقانه...»¹، ويقول أيضا: «قرأت قبل سن السادسة عشرة معظم ما وجدته من كتب فلسفة ودين وروايات.. لم أحب قط قراءة السياسة ولم أهتم بها، وكذلك التاريخ.. قرأت الكثير كذلك على شبكة الأنترنت، ويبدو أنني قرأت أكثر من اللازم لأنني لم أعد أطيق رؤية كتاب آخر.. لهذا السبب أنا أكثر ثقافة من أقراني بلا شك..»²، هنا تتضح الصورة بأن البطل لا يقرأ لكسب الوعي بل يقرأ من أجل الاختلاف و التميز عن بقية سكان يوتوبيا، و هذا شيء يفتخر به كنوع من الإنجاز في مجتمع ساد فيه الجهل.

يؤكد الكاتب أيضا أن في هذا المجتمع قد قام الأثرياء منهم ببيع حضارتهم الفرعونية، مقابل الحصول على الحياة المثالية، سكان يوتوبيا حاكوا نمط حياة الغربيين و تأثروا بثقافتهم و انصهروا في فكرهم، ما أدى إلى طمس هويتهم العربية و التبشير في المستقبل بمجتمع غربي بكل معنى الكلمة، كما أن الفكر اليوتوبي الذي صوره الكاتب من خلال شخصية "علاء"، بعيد كل البعد عن الفكر الاسلامي، و جل الكتب السماوية تنفي و تحرم السلوكات المنحرفة، فقد نهى الله عز و جل عن تعاطي المسكرات والزنا والاغتصاب والسرقه والقتل...

¹ الرواية، ص 14.

² الرواية، ص 15.

يقول الله تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾¹.

و يقول أيضا : ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾².

و يقول: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾³.

الشباب اليوتوبي "علاء" كغيره من شبان يوتوبيا، مارس كل المحرمات التي نهى عنها القرآن الكريم، بداعي التسلية وكسر الروتين الذي يعيشه في يوتوبيا، ويبدو أن يوتوبيا انعدمت فيها الأخلاق والدين، وذابت القيم الانسانية في ظل الفراغ الروحي وضعف الإيمان الذي يعيشوه سكانها.

كما أن الدين في يوتوبيا مجرد وسيلة للتباهي و التفاخر، فالشخصيات اليوتوبية تخدم الله ليخدمها، و لا ينظرون للدين على أنه طاقة روحانية بقدر ما يفسرونه ماديا، يتخذون من العبادة وسيلة لحماية ممتلكاتهم و لحماية نجاحهم و لزيادة ثروتهم، يقول السارد موضحا ذلك : « منطقة دور العبادة التي بها أكثر من مسجد و كنيسة و معبد يهودي.. البعض هنا مازال مصرا على أن خاطب ذاتا عليا لا يراها، و لكن جيل الشباب قد تخلص من هذه العادة على كل حال.. أعتقد أن سبب تشبث الكبار بذلك هو خشيتهم من أن يفقدوا كل شيء في لحظة.. أن يضيع التميز.. أن يجدوا أنفسهم في الخارج... هناك سبب آخر مهم في رأيي، هو ولع الكبار بأن يجمعوا بين طابعي الثراء والورع...»⁴.

من خلال ما سبق، فقد استطاع " أحمد خالد توفيق " أن يبنى شخصية يوتوبية تحمل تركيبة عقائدية مخالفة لما يعرف به المجتمع المصري الإسلامي، كما حمل المجتمع اليوتوبي فكرا معارضا للشريعة الاسلامية، مجتمع ينظر للسلوك الديني على أنه مجرد تنظير لا تطبيق.

¹ سورة المائدة، الآية 32.

² سورة الاسراء، الآية 32.

³ سورة البقرة، الآية 219.

⁴ الرواية، ص 20.

ب- الشخصيات الثانوية في يوتوبيا :

ب1- جرمينال : هي عشيقه البطل "علاء" التي ترافقه في رحلته إلى شبرا لصيد فريسة و احضار تذكارات بشري من هناك، و كما نلاحظ فشخصية جرمينال لعبت دورا ثانويا في الرواية، رافقت البطل في رحلته و كانت ملازمة له، و جرمينال فتاة مدللة تمثل نموذجا صريحا لحياة الفتيات في يوتوبيا اللواتي يعشن حياة الرفاهية والترف، و هذه الشخصية كانت تطيع البطل و لا ترفض له طلبا و ذلك يظهر في قول البطل : « قلت لجرمينال: الليلة ننطلق إلى الخارج لنأتي بواحد منهم.. و لسوف تأتين معي.. كانت تحبني عندما أصدر الأوامر.. هذا يشعرها بالقهر و يدغدغ ماسوشيتها..»¹، و هذه الفتاة كغيرها من فتيات يوتوبيا تمارس الأفعال غير الأخلاقية كالزنا و تعاطي المخدرات، هذه الشخصية صوّرت الحالات النفسية التي تعيشها الفتيات في يوتوبيا، و سببت لهم نوعا من الفراغ الداخلي الذي يحاولن ملأه عن طريق ارتكاب سلوكات غير واعية.

ب2- لارين: هي والدة البطل "علاء"، تمثل لارين الشخصية المكتئبة التي تعاني من البرود العاطفي و بالرغم من أن زوجها مراد بك صاحب أكبر شركة دواء في يوتوبيا و رغم الثراء التي تنعم به، إلا أنها تفتقر للاهتمام من طرف زوجها، مما أفقدها الثقة بنفسها و تقديرها لذاتها و أدخلها في دوامة من الاكتئاب، يقول السارد: « لارين عائدة من المول حاملة عدة أكياس تحوي ما نحتاج له.. أشياء تأكل و تشرب وتدهن تحت الإبط و تطلى بها الأظفار.. أعرف أن أكثر ما ابتاعته لا حاجة لنا به.. سوى أن نتخلص من أكثره.. إنه الملل.. إنه الإحباط.. لا أعرف الكثير عن حياتها الجنسية، لكنني أعتقد أن مراد لم ينم معها منذ قرون.. »²، لارين شخصية تعاني من الحزن و فقدان طعم السعادة، و رغم محاولتها من أن تمثل دور الأم الحازمة إلا أنها تعاني من قلة احترام "علاء" لها، تحاول لارين أن تمنع ابنها من خوض تجربة الصيد لكن دون جدوى فهو لا يستمع لكلامها ولا يخضع لأوامرها، رغم محاولتها كسب ثقة "علاء" و توفيرها له كل ملذات الحياة، لكنها لا تستطيع ردعه رغم محاولاتها العديدة في إقناعه، يقول : « بلا مقدمات قلت لها : أنا راغب في تجربة الصيد.. شهقت.... قالت في ذعر و قد اتسعت عيناها: هل ينقصك شيء؟ .. »³.

¹ الرواية، ص 36، 37.

² الرواية، ص 26.

³ الرواية، ص 27.

لم يكن لهذه الشخصية دور كبير في التأثير على شخصية "علاء" أو إعاقه دوره، سوى أنها مثلت دور الأم التي تفرط في تدليل ولدها بدافع حبها له.

ب-3 مراد بك: والد البطل "علاء"، لم يكن حضوره قويا في الرواية، ذكر مراد بك على لسان "علاء" حينما قال: « قصر أبي ملك الدواء... »¹، فوالد البطل يملك شركة لصنع الدواء في يوتوبيا، و قد كان لهذه الشخصية حضور في الجزء الأخير من الرواية، عندما تملكه الخوف الشديد من حدوث انقلاب و اندلاع الحرب بين اليوتوبيين و الأغيار، و هذا دليل على جنبه و خوفه من المواجهة، يقول السارد: « سأله مراد عما هنالك.. فقال إن الفقراء ثائرون.. ثائرون و يتقدمون في جموع منظمة عبر الصحراء... قال له مراد في توتر و قد بدأت شفته السفلى ترتجف: يجب أن تحموني.. سوف أدفع لك مكافأة خاصة... كدت أصبح في مراد: لماذا ترتجف؟ لم لا تكون أكثر كبرياء؟ لم لا تكون أكثر وقارا؟ »²، إذن مراد هو الرجل الجبان و السيء الذي يمثل بقية الرجال في يوتوبيا الذين يسعون وراء المال فقط.

ب-4 مايك رودجرز: هو قائد رجال الأمن (المارينز) الذي يشرف على حماية يوتوبيا، و هو رجل أمريكي الجنسية، و قد وُصف مايك على لسان شخصية البطل "علاء" فقال: « أقدم لك مايك رودجرز قائد رجال الأمن.. رجل أمريكي من ميسوري، لطيف المعشر، له شارب أشقر رفيع.. قصة الطاقم المميزة والعضلات البارزة و طرف الفانلة الخضراء الزيتية البارز من السترة. معه أستمع بالكلام بالعامية الأمريكية ذات اللكنة الريفية المملوطة كأنه خوار بقرة كسول ترعى في مرج، مع استعمال الكثير من الشتائم البذيئة التي تضحكه »³، لم يركز الكاتب كثيرا على هذه الشخصية فكل ما ذكره عن مايك أنه حارس عسكري و مسؤول عن سلامة الشعب، و يبدو أن العلاقة التي تربطه بالبطل هي علاقة جيدة و قوية فقد طلب منه "علاء" أن يأذن له بالذهاب إلى شبرا لاصطياد أحد من الأغيار، كما أن سلامة سكان يوتوبيا من أولوياته فقد ورد في نهاية الرواية أنه طلب من سكان يوتوبيا ألا يغادروا بيوتهم كي لا يعرضوا أنفسهم للخطر، يقول السارد: « مايك رودجرز رجل المارينز جاء إلى دارنا و لم يكن متأهبا للمزاح. عرفت أنه يقوم بجولة على كل

¹ الرواية، ص 21.

² الرواية، ص 178، 179.

³ الرواية، ص 31.

القصور هنا مع رجال في سيارة جيب عسكرية... قال إن علينا ألا نغادر بيوتنا إلا للضرورة.. قال إن علينا ألا نقلق. كل شيء تحت السيطرة..»¹.

2- الشخصيات الديستوبية :

أ- شخصية البطل "جابر" : جابر هو الشخصية الرئيسية التي أدت دور البطولة الثانية في الرواية، و هو ينتمي إلى عالم الأغيار، يعيش جابر في شبرا مع أخته الصغيرة الذي يتولى حمايتها من الواقع المرير هناك، و يشير الكاتب من خلال شخصية "جابر" إلى الطبقات الفقيرة البائسة، كما يعتبر منافسا للبطل الأول "علاء".

"جابر" أهم شخصية إلى جانب شخصية "علاء"، فهو المحرك الأساسي للأحداث، و قد خصص الكاتب للشباب الديستوبي "جابر" جزأين قد عنونهما ب "الفريسة"، مشيرا بذلك إلى أن "جابر" سيتعرض للاغتيال من طرف "الصيداء علاء".

صور الكاتب الفكر الديستوبي من خلال هذه الشخصية، مسلطا الضوء إلى الطبقة المهمشة في مصر، والذي عانى سكانها من الحرمان و الفقر طوال حياتهم، يقول "جابر" : « فقد أذكر أن الأمور كانت تسوء بلا انقطاع.. وفي كل مرة كان الفارق بين الوضع أمس واليوم طفيفاً، لذا يغمض المرء عينه كل ليلة و هو يغمغم: أهى عيشة.. ما زالت الحياة ممكنة..»

ما زال بوسعك أن تجد الطعام والمأوى وبعض العلاج.. إذن فليكن غد.. ثم تصحو ذات يوم لتدرك أن الحياة مستحيلة، و أنك عاجز عن الظفر بقوت غد و مأواه...»².

أراد الكاتب أن يشير إلى الفقر و البؤس و المرض من خلال هذه الشخصية، فجابر يمثل هذه الطبقة الكادحة، و يعكس أحوال الناس في شبرا و معاناتهم، و رغم تمسك هذه الشخصية بالحياة إلا أن الحياة قد أصبحت مستحيلة لا سيما بعد فقدانه إحدى عينيه و يظهر هذا في قوله : « قرنتي الحبيبة.. و حلم ما بعد الجنس... أعرف أنني سأموت بعد يومين فلا تقل العكس.. لا تكرر هذا الهراء و إلا طعنك بمطواتي.

¹ الرواية، ص 178.

² الرواية، ص 60، 61.

دعني أحلم مرة أخيرة.. أنا لم أفعل هذا منذ زمن.. قرنتي الحبيبة.. و حلم ما بعد الجنس...»¹،
و يظهر هنا أن "جابر" قد فقد الأمل و استسلم للواقع الذي يعيشه.

بالرغم من الفقر الذي عشن في شبرا، إلا أن "جابر" شخص مسؤول و يعتمد على نفسه فهو يعتني بأخته المريضة و يتحمل مسؤولية حمايتها، فهو يفعل المستحيل لتأمين الغذاء لها، يقول : « على الأقل هناك (صفية). أختي... ثمة شيء واحد في حياتي ظل نظيفا، أو نجحت في أن أجعله كذلك.. رأيت ذات مرة في فيلم غربي في تلفزيون القهوة فارسًا نبيلًا مع امرأة فيرى بركة وحل.. عندها نزع معطفه و ألقاه على الأرض لتمشي عليه فلا يتسخ حذاءها.. مع (صفية) لم أعب دور الفارس.. لعبت دور المعطف ذاته.. لهذا أنا حي.. لن أموت و أترك (صفية)...»²، و هنا يظهر تعلق البطل "جابر" بأخته، فهي السبب الوحيد الذي يجعله يقاوم الحياة.

"جابر" يلتقي مع "علاء" في الجزء الثاني المعنون ب " الفريسة" وذلك عندما يدخل الشاب اليوتوبي و صديقه جرمينال إلى منطقة الأغيار لقتل أحد منهم، لكن سرعان ما يجدان شخص لقتله ينكب عليهم مجموعة من البلطجية الذين يسيطرون على تلك المنطقة، فينقذهم "جابر" و يأخذهم إلى الكوخ الذي يعيش فيه مع أخته، و بذلك يظهر حسن خلق هذه الشخصية التي تساعد الآخرين رغم أنهما من يوتوبيا.

يحاول "جابر" مساعدة "علاء" و "جرمينال" للعودة إلى يوتوبيا، و على الرغم من أنه كان لطيفا معهما إلا أنه ظل يقظا وحذرا، كأنه أحس بالغدر من طرفهما، فهو لم يصدق بأنهما أناس طيبون، و يعلم بأنهما قد جاءا إلى منطقة الديستوبيا بحثا عن فريسة، لكنه لا يعلم بأنه سيكون الضحية القادمة، أو ربما أحس بذلك لقوله : « سأموت خلال يومين أو ثلاثة.. تسألني كيف عرفت هذا ؟.. أقول لك إنه لا فرصة للنجاة أمامي.. أنا ولدت خاسرا و لسوف يظفر بي الفتى القادم من يوتوبيا لا محالة..»³.

وقد حملت هذه الشخصية الديستوبية أبعادًا فيزيولوجية، سيكولوجية، اجتماعية، وفكرية عكست صورة المجتمع الديستوبي و المتمثلة في :

¹ الرواية، ص 60.

² الرواية، ص 77، 78.

³ الرواية، ص 69.

أ-1 البعد الفيزيولوجي للبطل "جابر" :

وصف السارد هذه الشخصية بدقة لإيصال الصورة بكل تفاصيلها، أو كما أرادها الكاتب للقارئ، وقد حدد ملامح فيزيولوجية لشخصية "جابر" الذي كان الفقر و الجوع واضحين على معالمه، و قد جاء وصف هذه الشخصية على لسان شخصية أخرى، حيث يصفه الفتى اليوتوبي "علاء" و يقول : « للمرة الأولى، أتمكن من نفحص ملامح هذا المنقذ.. كان في الثلاثين من عمره نحيلًا منكوش الشعر، تبدو عليه بوضوح سمات سوء التغذية، لكنه قوي البنيان كالذئب. وعلى أنفه نظارة تم لحامها بالنار ألف مرة ومن تحتها وجه امتلأ بالخياطة كأنه وجه المسخ في أفلام (فرانكنشتاين).. لاحظت كذلك أن له قرنية ذابت وتحولت إلى عجينة بيضاء..»¹، اذن فبطل شبرا هو في الثلاثينات من عمره، هزيل الجسم تبدو عليه سمات الفقر والمعاناة.

كما ذكر الكاتب أن "جابر" أعور، فقد قرنيته و قد كرر هذا المقطع كثيرا فليس من السهل على الشخص أن يفقد جزءا من جسمه خاصة و إن كانت العين التي يرى بها : « قرنيتي الحبيبة...»²، ويقول: « لقد فقدت قرنيتي.. البلهاء يقولون : (عينه باضت) ؛ لأنهم لا يعرفون ما هي القرنية..»³.

ذكر الكاتب أيضا أن "جابر" أعرج و ذلك في قوله : « هناك كانوا يقفون.. عبد الظاهر ومتولي ومحروس ومينا.. عرفوني من مشيتي العرجاء ومن قامتي...»⁴.

كما وصف الكاتب سوء مظهر "جابر" الذي يعاني من قلة النظافة و القذارة التي غطت ملامحه بالكامل، يقول السارد : « أذناه مليئتان بالصماغ.. أصابع قدمه متقرحة تطل من صندل حقير.. نظارته ملحومة بالنار.. عينه تالفة.. غده أسود... أظفاره مسودة.. شعره مجعد معجون بالتراب.. اسمه جابر..»⁵.

أستنتج أن الكاتب اهتم بشكل الشخصية بعناية و ذلك ليصور للقارئ الصورة كما رسمها في مخيلته، ومظهر "جابر" عكس الفقر و المعاناة الذي يعانيهما الأغيار، و قد استطاع الكاتب أن يجسد هذه الشخصية

¹ الرواية، ص 94.

² الرواية، ص 122.

³ الرواية، ص 70.

⁴ الرواية، ص 62.

⁵ الرواية، ص 118.

ليشعر المتلقي بها و كأنها أمامه، و جعل هذه الشخصية درامية حيوية غير جامدة، ما يسهل على القارئ تخيلها والاحساس بها و التعاطف معها.

أ-2 البعد النفسي للبطل "جابر" :

إن أكثر المشاعر التي سيطرت على الشاب الديستوبي "جابر"، هي العجز و اليأس و موت الأحلام ما نتج عن ذلك عقد نفسية، أدت به إلى تمني الموت لأنه يعتبر نفسه كالميت و قد ذكر الكاتب هذا في عدة مقاطع:

« أعرف أنني سأموت بعد يومين فلا تقل العكس... »¹.

« سأموت خلال يومين أو ثلاثة.. »².

فانتماء "جابر" إلى فئة الأغيار جعله شخصية متذبذبة المشاعر و عاطفية، فهو لا ينسى من أساء إليه أو أحسن إليه لكنه لا يملك القوة لتحويل تلك المشاعر إلى عمل واقعي، مما يدل على سيطرة وسواس الموت عليه.

ومن خلال وصف هذه الشخصية يتبين انعكاس الحالة الاجتماعية على الحياة النفسية، فجسمه يوحى بسوء التغذية و كثرة المشاجرات من أجل الحصول على لقمة العيش يقول السارد : « طعامه فاسد.. كتبه بالية.. أحلامه موءودة.. أفكاره عتيقة.. اسمه جابر.. قومه رعاع.. أصدقاؤه حثالة.. »³، العالم السوداوي الذي ينتمي له "جابر" سبب له اضطرابات نفسية انعكست على حياته بالسلب، فقد أصبحت مشاعر الكآبة و التشاؤم والأسى تسيطر عليه.

من خلال شخصية " جابر " يعطينا الكاتب لمحة عن حال الكثير من شباب المجتمع الفاسد أو المجتمع الديستوبي، الذي ينهش الفقر أجسادهم و أحشاءهم بلا رحمة، ولا يوجد لديهم ذرة أمل لتغيير أوضاعهم الكارثية، فهم محرومين من أبسط الحقوق، هذه الحياة القاسية قتلت جميع الأحاسيس والمشاعر لديهم وأصبحت سلوكياتهم عشوائية كالحيوانات تسيرها غرائزهم على أمل أن يحيا يوما آخر، يقول "جابر":

¹ الرواية، ص 60.

² الرواية، ص 69.

³ الرواية، ص 118.

«الجميع تواطأ علينا.. الجميع تواطأ عليّ أنا ؛ كي أعيش بلا مأوى.. بلا مأكل.. بلا مشرب.. بلا ثياب.. بلا سقف.. بلا حبيبة.. بلا كرامة.. بلا أسرة باستثناء صفيّة.. بلا ثلاجة.. بلا جهاز هاتف.. بلا جهاز تلفزيون.. بلا ربطة عنق.. بلا أصدقاء.. بلا حذاء.. بلا سراويل.. بلا فلوجستين.. بلا واق ذكري.. بلا أقراص للصداع.. بلا مؤشر ليزر وأخيرا بلا أحلام..»¹، هنا يؤكد "جابر" أن أحلامه قد قتلت ودفنت في أرض الأغيار مثله مثل غيره من شباب طبقته.

تُخرج هذه الشخصية مشاعرها المحبطة للعلن من خلال سلوكها الشاذ المتمثل في مطارة الكلاب لإسكات جوعه مع أن ديننا الحنيف ينهى عن أكل هذه الحيوانات، و هذا ما وصل إليه الحال في شبرا، يقول السارد : « المعدة خاوية و الجائع مجنون.. بعد كل هذا الجهد، يضع منا الكلب الذي ظللنا نصب له الكمائن ثلاثة أيام ؟.. متى يمكن أن تجد كلبا آخر ؟.. لم تعد هناك كلاب في الشوارع على الإطلاق.. لا قطط.. لا فئران.. »²، يبدو أن شباب ديستوبيا الذين أنهكتهم الحياة قد وجدوا متعة تُسليهم لينسوا مشاكلهم، و هي صيد الحيوانات ثم تمزيقها كنوع من التعذيب، ثم شويها و أكلها، فهم لا يستطيعون صيد شخص من العالم الآخر (يوتوبيا) لتفريغ غضبهم فيه و تمزيق جثته، قتلهم للكلاب و القطط و غيرها من الحيوانات فيه نوع من التلذذ لتجربة هذا الشعور، وهذه ظاهرة شاذة و تدل على اضطراب سلوكي نتيجة العنف و القسوة و القهر الذي تعرض إليه الأغيار من طرف اليوتوبيين.

هذه الشخصية تشعر بالنقص و هذا واضح من خلال سلوكها، فلا مبرر لمساعدته "علاء" وصديقه سوى إن كان يريد الانتقام منهما، و هذا يظهر في معاملته الوحشية مع فتاة يوتوبيا "جرمينال" حينما قام بركلها و هذا شيء أشعره بالفخر كأنه قام بإنجاز عظيم، فلم تصح فرصة إهانة أحد من يوتوبيا لأي من الأغيار غيره، يقول السارد « عندما ابتعد الجميع، دنا منها جابر و وجه لها ركلة في خصرها أسقطتها أرضا، و قال : يا بنت الـ (..) ... أقسم بالله أن هذه آخر مرة أحاول حمايتكما... نهضنا و مشينا وراء جابر في خجل و نحن نبصص بأذيال وهمية.. لقد جاءت إذن اللحظة التي يصفعنا ويركلنا فيها واحد من هؤلاء»³، الملاحظ في شخصية "جابر" أنه إنسان عاطفي، واهتمامه بأخته دليل على ذلك.

¹ الرواية، ص 129، 130.

² الرواية، ص 68.

³ الرواية، ص 116، 117.

يقول: «الحرمان الجنسي لم يعد من مشاكلنا اليوم وهذا غريب.. مع كل هذا الفقر انهار حاجز الأخلاق، وصار الجنس أسهل شيء يمكنك الحصول عليه.. الجنس مقابل أجر تافه، فإن لم يكن فهو الاغتصاب.. لكنني برغم هذا ظللت أصبو لشيء آخر.. أصبو لما بعد الجنس..»¹، هذا المجتمع مثله مثل مجتمع يوتوبيا الجنس و تعاطي المخدرات أشياء شائعة فيه، "جابر" يفعل هذه الأمور للهروب من عالم الأحزان إلى عالم الأحلام، أما في يوتوبيا فيفعلون هذه الأشياء للهروب من الملل و الروتين، و "جابر" شخص مريض يعاني من عدم الثقة بالنفس، و يتخيل الأشياء التي يراها بعيدة كل البعد، لأنه لا يملك ما يملكه شباب اليوم، وجهه ممزق و مظهره قذر و عينه تالفة، مما سبب له الكثير من العقد النفسية، وأوصله هذا الحال إلى الهلوسة بالفتيات و هذه المقاطع تبين ذلك :

« اسمها كان عزة... عزة تضحك.. عزة تهتز.. عزة تقطب.. عزة تغمز.. عزة تنتشي.. عزة تتشاجر.. عزة تتلوى.. عزة تهمس.. عزة تبتسم.. عزة تفكر..»².

« نجاة تضحك.. نجاة تهتز.. نجاة تقطب.. نجاة تغمز...»³.

« اسمها كان عواطف... لماذا أتذكرها الآن؟... عواطف تضحك.. عواطف تهتز.. عواطف تقطب.. عواطف تغمز..»⁴.

استطاع " أحمد خالد توفيق " أن يقدم لمحة عن الإنسان المضطرب و الغامض من خلال شخصية البطل الديستوبي "جابر"، الذي مزّقه الحياة فأصبح ينظر لها نظرة تشاؤمية سوداوية و عليه يمكن القول أن هذه الشخصية متأزمة عاطفياً، تعاني من التذبذب في المشاعر فأحياناً يتشبث بالحياة و أحياناً يتمنى الموت، تارة يظهر استعطافه لأفراد مجتمعه و تارة أخرى يمقتهم فقد أحاط الغموض هذه الشخصية من كل جوانبها مما يدل على عدم توقع ردود فعلها.

¹ الرواية، ص 76، 77.

² الرواية، ص 69.

³ الرواية، ص 72.

⁴ الرواية، ص 73.

أ-3 البعد الاجتماعي للبطل "جابر" :

إن الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها "جابر" هي طبقة الفقراء، ويعكس صورة الفقر والمرض الذي يعيشه أصحاب تلك المجتمعات، ويصور أحوالهم المزرية وعيشتهم البائسة، وباعتبار أن الرواية تعالج قضايا اجتماعية بالدرجة الأولى، فقد اعتمد الكاتب على الوصف الاجتماعي الذي يربط الشخصية بواقعها.

"جابر" ابن المجتمع الذي يعيش فيه فهو فقير ولا يجد قوت يومه، فيضطر لصيد الكلاب وأكلها أحيانا تحدث شجارات من أجل هذه الكلاب حتى صارت الحيوانات منقرضة في هذه المنطقة، يقول الراوي على لسان "جابر": «في يوتوبيا لا يأكلون الكلاب.. يربونها للتدليل والحراسة.. كنا مثلهم يوما ما، ثم تعلمنا أنها مصدر رخيص للبروتين، لو حدثت الثورة يوما ما فلسوف نبدأ بالتهم كلابهم المدللة السمينة كلها»¹.

حاول الكاتب أن يجعل هذه الشخصية رمزا لهذه الطبقة وبهذا يكون قد نقل للمتلقي الصورة التي تعيشها هذه الشخصية، وقد تم وصف هذا المجتمع على لسان الشاب اليوتوبي "علاء" عندما حطت قدماء لأول مرة في شبرا فوق مذهبولا مشمئزا من هذا المكان، يقول: «الآن نحن ندخل أرض الأغيار.. العالم الآخر الذي تركناه منذ زمن، يوم توارينا خلف أسوار يوتوبيا.. شبرا.. هكذا يطلقون عليها... خليط عجيب من الروائح والأصوات والمشاهد.. الرائحة الأولى و الرئيسة هي رائحة العرق.. في هذه الرائحة ذابت روائح غريبة من المأكولات والوحل والفضلات البشرية وربما الدماء..»².

هذا المجتمع قد انعدمت فيه حقوق الإنسان، ومن وجهة نظر الواقع الآخر (يوتوبيا) لا يجب أن تظل هذه المجتمعات الفاسدة موجودة بل يجب أن يموت كل من فيها، ولهذا السبب يأتي شباب يوتوبيا لقتل الأغيار بدم بارد، يقول السارد على لسان "علاء": «الخلاصة التي توصلت لها بعد دقيقة في هذا العالم هو أن هؤلاء القوم يتظاهرون بأنهم أحياء.. يتظاهرون بأنهم يأكلون لحما ويتظاهرون بأنهم يشربون خمرًا، بالطبع يتظاهرون بأنهم ثملوا وأنهم نسوا مشاكلهم... يتظاهرون بأن لهم الحق في الخطيئة والزلل.. يتظاهرون بأنهم بشر»³.

بالرغم من المعاناة التي تعيشها شخصيات الطبقة الكادحة، إلا أن هذا العالم الديستوبي لا يختلف عن العالم اليوتوبي من حيث الفساد فكلاهما مجتمعان فاسدان، فنجد في شبرا الاغتصاب مباح والزنا مباحة والقتل

¹ الرواية، ص76.

² الرواية، ص48.

³ الرواية، ص49.

والبطلجة والسرقعة وتعاطي المخدرات، وقد استعان الكاتب بكم من الأخبار التي تكتب وتعرض في الجرائد اليومية، فنجد شخصية "جابر" تسرد هذه الأخبار و الأزمات التي حلت في مصر، يقول: «كشف المرصد الصحفي بملتقى الحوار للتنمية وحقوق الإنسان عن ارتكاب (172) جريمة عنف ضد النساء وذلك خلال الفترة من 30 يونيو حتى 25 ديسمبر 2005... 150 جريمة قتل بينهم 6 جرائم اقترنت بالذبح، 3 جرائم اقترنت بحرق الجثث، 3 جرائم اقترنت بتمزيق الجثث... جاء الدافع لارتكاب تلك الجرائم: بسبب الشرف، هروب الزوجة، خيانة الزوجة، الشك في سلوكها، الغيرة... تردى الأوضاع الاقتصادية: مصروف المنزل، نقل ملكية سيارة، النزاع على الميراث... الأرقام لا تكذب...»¹.

«كشف الدكتور أحمد عكاشة في أحد المؤتمرات عن أن هناك في مصر أكثر من مليوني مدمن، و12 ألفا يتعاطون الهيروين ومليوناً يتعاطون مخدرات أخرى كالبنجوا وأبي صليبة في المرحلة العمرية من 12 إلى 19 عاماً...»².

أما عن لغة هذا المجتمع الديستوبي الذي ينتمي إليه "جابر" فهي لغة شعبية مرفقة ببعض المسبات والشتائم على عكس المجتمع اليوتوبي الفاضل الذي اعتمد فيه الكاتب على اللغة الفصحى ليبين بذلك الفروقات الاجتماعية بين الطبقتين، كأنه يقول بأن الشعوب المتحضرة يتكلمون بلغة نبيلة مثالية والشعوب الفاسدة يتكلمون بلغة شعبية بلدية متخلفة.

الجانب الذي يعيش فيه "جابر" تتراعى فيه أحزمة سكانية عشوائية معدمة من أبسط حقوقها، لا مسكن لهم، لا حياة لهم، حرمان وبؤس وقهر، لا وجود للماء والكهرباء والغذاء والخدمات والسلع الضرورية، لا وجود لفرص العمل إلا كخدم في يوتوبيا ودليل ذلك "صفوت" الذي يسلك المجاري في يوتوبيا وغيره من الأغيار الذين يشتغلون كعبيد لأصحاب الطبقة العليا، يقول "جابر": «صفوت يعمل في يوتوبيا.. إنه يغطس في المجاري ليقوم بتسليكها، رغم أن شبكة المجاري هناك جيدة... بالنسبة لنا، لم يعد هناك ما يدعى مجار.. نحن نتصرف...»³، في هذه الظروف الصعبة يتعذر على الإنسان أن يلبي احتياجاته الآدمية، خاصة الأكل، فهم يقتاتون على فضلات الطعام الفاسد، يقول السارد على لسان "علاء": «الطعام الذي أعدته لنا صفية

¹ الرواية، ص78.

² الرواية، ص93.

³ الرواية، ص82.

هذه، كان خليطا من الفول والطعمية، طعام الأغيار المقدس... بقايا أوشكت على الفساد من عدة وجبات سابقة قامت بخلطها... طعم الدجاج الفاسد والفول الحامض والبيض الممشش...»¹.

إضافة على ذلك يعاني "جابر" وأصحاب تلك الطبقة من البطالة وعدم توفر مناصب العمل، يقول السارد: «في أوائل القرن الحادي والعشرين، وفي آخر إحصاء أمكن عمله، كان هناك 35 مليون مصري تحت خط الفقر، وكذا البطالة التي وصلت إلى أعلى معدلاتها العالمية 10 ملايين عاطل...»².

استطاع "أحمد خالد توفيق" أن يقدم من خلال هذه الشخصية الحياة اليومية في شبرا والتي تشبه الجحيم، فأصحاب هذه الطبقة قد تخلت الدولة عن مسؤوليتها اتجاههم تاركة إياهم أمام مصاعب الحياة.

إن حياة "جابر" الاجتماعية قد انعكست على حالته النفسية وقد استطاع الكاتب أن يعطي من خلاله رؤية عن الإنسان الذي يعيش في ظلمات الفقر، والتي بات الموت هو أبسط أمنياتهم في هذا العالم السوداوي.

أ-4 البعد الفكري للبطل "جابر":

يعد "جابر" من طبقة المثقفين، وهذه نقطة اشتراك بينه وبين "علاء"، وقد ذكر الكاتب في الرواية بأن "جابر" كان طالب جامعي وجاء هذا على لسان أخته "صفية" وهي تتحاور مع "علاء": «أشرت لأخيها النائم وقلت: من أين يعرف هذا كله؟.. يصمم أن يقرأ.. يبحث في القمامة عن كل كتاب قديم فهي أشياء لم تعد تباع...»³.

«أشارت لأخيها النائم وقالت: هو من طبقة التلامذة.. إنهم هؤلاء الذين دخلوا كليات أو جامعات منذ عشر سنوات ثم لم يجدوا عملا، ولم يستطيعوا أن يصنعوا شيئا بما تعلموه...»⁴.

كما نلاحظ أن الدين قد تلاشى في ديستوبيا أيضا وهذه أيضا نقطة اشتراك بين العالمين، يقول السارد عل لسان "جابر": «لا يمكنك أن تعرف دين أي واحد هنا ما لم ينطق بقسم من نوع المسيح الحي، أو يصل

¹ الرواية، ص 99، 100.

² الرواية، ص 128.

³ الرواية، ص 104.

⁴ الرواية، ص 105.

على رسول الله، فحتى الأسماء صارت عادية محايدة لا تدل على شيء... لم يعد أحد يعرف إن كنت مسلماً أو مسيحياً إلا عندما تعلن أنك ذاهب لعمرة، أو ينكشف ساعدك ليظهر وشم الصليب»¹.

قدم الكاتب من خلال هذه الشخصية رؤية عن الإنسان المثقف الذي يعيش في عالم لا يجب أن يتواجد فيه، يقول: «قرأت كثيراً جداً.. قرأت كل شيء.. حتى أذابت الحروف بعضها... وحتى صرت لا أنتمي للأغيار ولا أنتمي ليوتوبيا.. في كل موضع أنا غريب مختلف شاذ أحق، غير متكيف غير مندمج»².

إن ديستوبيا مثلها مقل يوتوبيا انعدمت فيها القيم الأخلاقية وسادت فيها الآفات الاجتماعية وأصبح الحرام حلالاً، والأغيار قد اتخذوا الدين كذريعة للخلاص من الواقع المر الذي يعيشونه، يتخذون من الدين حجة يغطون بها عجزهم عن تغيير واقعهم المظلم، والجرائم التي تحدث في شبرا دليل على أن الدين كتطبيق حقيقي غير موجود، فجل الديانات تنهى عن ارتكاب المحرمات من قتل و سرقة واغتصاب وتندد وتمنع مثل هذه السلوكات العدوانية، والاسلام على رأسهم نهى عن ارتكاب هذه الجرائم الشنيعة.

أراد الكاتب أن يبرهن من خلال هذه الشخصية الديستوبية أن الدين في هذا المجتمع مجرد تنظير لا تطبيق مثله مقل الدين في يوتوبيا، وقد استطاع الكاتب أن يبين أن الأبعاد الفكرية للشخصيات اليوتوبية والديستوبية لا تختلف عن بعضها البعض، فالمنظومة الأخلاقية والدينية قد انقرضت في هذه المجتمعات.

ب- الشخصيات الثانوية في ديستوبيا:

ب-1 صفية: هي فتاة في العقد الثاني من العمر وأخت البطل "جابر" الوحيدة، وقد جاء وصفها على لسان "علاء" عندما دخل الكوخ الذي يعيش فيه "جابر" و"صفية" يقول: «سمعنا حركة ودخلت الكوخ فتاة في العقد الثاني من العمر.. يبدو أنها مليحة وإن كانت قذارة أسماها تخفي أي حسن.. القذارة جعلت ثوبها صلباً لا يرف ولا يهتز كأنه من جلد مدبوغ»³، "صفية" هي أهم إنسان لدى "جابر" وكل ما تبقى له من هذه الحياة، وهي الأمل الذي يعيش من أجله، لعبت "صفية" دور الفتاة البريئة التي لم تلوثها ديستوبيا بعد، كما أنها فتاة مريضة بالسل، تتعرض "صفية" للاغتصاب من طرف الشاب اليوتوبي "علاء" كما أنه هدها بقتل أخيها الوحيد، يبين لنا الكاتب من خلال هذه الشخصية محنة فتيات الطبقة السفلى و"صفية" هي المرأة

¹ الرواية، ص 62، 63.

² الرواية، ص 129.

³ الرواية، ص 95.

العاكسة للواقع الديستوبي و مظهرها الخارجي كان رسالة واضحة للمعاناة، تقرر هذه الفتاة الانتقام لأخيها وهذا يظهر في آخر الرواية.

ب-2 السرجاني : هو شخص بلطجي يسيطر على كل شيء في شبرا وبها به الجميع، كما أنه السبب في فقدان "جابر" لقرنيته، يقول السارد: « لا أذكر سوى الطعنة.. شق يبدأ من الجفن العلوي ويمر بالقرنية وينتقل إلى الجفن السفلي.. لقد فقدت قرنيتي..»¹، السرجاني أفقد للبطل "جابر" قرنيته بسبب أحد فتياته، أثرت هذه الشخصية في السرد وأعاقت مخطط "جابر" في تهريب الشاب اليوتوبي وصديقه، كما يقوم السرجاني بتشغيل الفتيات لممارسة البغاء مقابل المال، قدم الكاتب من خلال هذه الشخصية صفات أهالي شبرا العدوانية والقاسية، فهم يفعلون كل شيء بغية الحصول على لقمة العيش.

ب-3 سمية : ابنة أخ السرجاني و تشتغل عنده، يدفعها لإقامة علاقات مع الرجال مقابل سعر زهيد، أضفت هذه الشخصية الإثارة و التشويق على الرواية، فهي كانت الفريسة الأولى لـ "علاء" لولا تدخل بعض رجال عمها لإنقاذها منه، كما أن شخصية "سمية" همجية ويظهر هذا من خلال سلوكها وهي عنيفة ومتقلبة وتميل إلى الاسترجال من أجل حماية نفسها من الذئاب البشرية في شبرا، اتخذ الكاتب هذه الشخصية مثالا جريئا عبر من خلاله عن واقع المرأة في المجتمع الديستوبي الذي يحكمه الجهل والتخلف، فنساء هذا المجتمع قد تم اغتصاب حريتهن وأصبحن سلعة تباع وتشتري في سوق الرجال، كأن الكاتب يعيد إحياء تصوير العصر الجاهلي حيث كانت تباع النساء في سوق النخاسين.

ب-4 عبد الظاهر وشلته : هم أصدقاء البطل "جابر" الذين يحمونه من عصابات شبرا، عبد الظاهر يخطط لعملية خطيرة جدا وهي سرقة البايرول وهذا ما يتضح في الجزء الأخير، يقوم "جابر" في الجزء الثاني بفضح مخطط هذه الشخصية لتشويق القارئ عن ما سيحدث لاحقا، يقول: « عبد الظاهر بلطجي لكنه جدع.. أعترف أنني أحبه وأثق به، خاصة عندما لا يساوره ذلك الهاجس المرضي، ويروح يحكي لنا خطته بصدد البايرول ويوتوبيا..»²، ويبدو أن عبد الظاهر قد نجحت خطته وهذا ما ذكره الكاتب في آخر جزء يقول على لسان "علاء": « كان هذا راسم يخبرني بأمور غريبة: هل تعرف أن الطائرات معطلة؟... حكي لي قصة عجيبة

¹ الرواية، ص70.

² الرواية، ص64.

عن مغامرة قام بها الأغيار منذ يومين.. لقد هاجموا قافلة هائلة تحمل البايرول عبر الصحراء... لقد هوجمت القافلة وتم أسر سائقيها...»¹، هذه الشخصية كانت السبب الأول في الانقلاب الذي حصل بين الطبقتين.

ثالثا: أثر المكان على الشخصيات

إن المكان هو إبداع من مخيلة المبدع نفسه، فهو يرى الحيّز أو الفضاء قيمة جمالية تمنح له المساحة الواسعة للتعبير عن كل ما يجول في خاطره بكل أريحية.

إن تركيبة المدن التي بنى عليها "أحمد خالد توفيق" روايته كان لها انعكاس واضح على الشخصيات والتأثير على نفسياتهم، باعتبار أن المكان هو العامل الأساسي في تحديد سلوك الإنسان ونمط حياته وعلاقاته مع الغير، وقد انقسم المكان في رواية "يوتوبيا" إلى مدينتين:

1- مدينة يوتوبيا:

بدأ الكاتب بتجسيد معالم هذه المدينة الفاضلة التي تقع في الساحل الشمالي، يعيش فيها أصحاب الجاه والسلطة أي أصحاب الطبقة الأرستقراطية، تمتلك يوتوبيا كل الموارد والخيرات التي تضمن لسكانها حياة أفضل، وقد وصف الكاتب الهيكل العمراني لهذه المدينة ومن خلال وصفه لها ندرك مدى رفاهية هذا المجتمع، يقول الكاتب: «يمكنك أن معي معالمها.. البوابات العملاقة.. السلك المكهرب.. دوريات الحراسة التي تقوم بها شركة سيفكو التي يتكون أكثر العاملين فيها من مارينز متقاعدين.. أحيانا يحاول الفقراء التسلل للدخل... فتلاحقه طائرة الهليكوبتر وتقتله...»².

يواصل الكاتب وصفه لمعالم هذا المكان المثالي الذي ينعم سكانه بالأمن والاستقرار: «بعد هذا منطقة الحدائق.. منطقة المدارس المخصصة لإقناع الآباء أنهم مازالوا كذلك.. منطقة دور العبادة بها أكثر من مسجد وكنيسة... منطقة المولات... ثم ترى القصور.. هناك مطار طبعاً حتى لا تضطر للخروج...»³، هذه المعالم والمنشآت كان لها أثر واضح في بناء شخصيات هذا المجتمع وحالتهم النفسية والعاطفية كذلك، فالمثالية التي وصلوا إليها خلقت فيهم سلوكات غير سوية، سلوكات شاذة، كما أن هذا الترف أدى إلى انحلال أخلاقي في هذه البيئة وانتشار الآفات الاجتماعية، منها تعاطي المخدرات بشتى أنواعها وممارسة المحرمات وغيرها،

¹ الرواية، ص 174.

² الرواية، ص 19.

³ الرواية، ص 20، 21.

الحرية في يوتوبيا أدت إلى انصهار الأخلاق فأصبحوا لا يفرقون بين الجيد والسيء، بين الحرام والحلال، فكل ما يشتهي المرء مباح فيها.

الملاحظ على هذه المدينة التي نسج فيها الكاتب أحداث روايته قد كانت نتيجة حتمية لمخطط أنتجه رجال أعمال يوتوبيا لتفادي طوفان الفقر الموحش، كما يقوم اقتصاد هذه المدينة على البايرول وهي مادة قد تم استبدال البترول بها لأنه أصبح رخيصا كالماء، وقد استطاع الكاتب من خلال تصويره ليوتوبيا أن يبين الحالة التي وصل إليها الأغنياء من فساد وحالة أبنائهم الذي أفسدتهم الترف مما سبب لهم مشاكل وأزمات نفسية جعلت سلوكهم عدواني و أصبحوا يتلذذون بالعنف للشعور بالإثارة والحماس.

2- مدينة الديستوبيا (شبرا):

هو المكان المهمش الذي يقع خارج أسوار يوتوبيا، والذي اختاره "أحمد خالد توفيق" ليبين من خلاله أحوال الطبقة الكادحة في مصر، بنية وتركيبه هذا المكان توضح طريقة الشخصيات التي تعيش هنا، وأحوالهم النفسية والاجتماعية، وأرض الأغنياء كما أطلق عليها الكاتب هي مكان قذر ومقرف لا يصلح العيش فيها، وقد تم وصفها في هذا المقطع: « خليط عجيب من الروائح والأصوات والمشاهد...هناك عربات تكدست فوقها أطعمة.. خلائط من الأطعمة... الآن فقط أفهم لماذا عزلنا أنفسنا في يوتوبيا.. لم يعد في هذا العالم إلا الفقر وإلا الوجوه الشاحبة التي تطل منها عيون جاحظة جوعى متوحشة...»¹.

يواصل الكاتب وصف هذا المكان المدمر الذي خلفه النظام الرأسمالي، يقول على لسان "علاء": «كنا نمشي وسط الجموع ذاهلين.. هناك قفص خشبي عليه أكوام من جلود الدجاج بشعة المنظر.. المصيبة أن الناس يبتاعون هذه الأشياء... أكوام من الثياب المتسخة المستعملة تباع بمائة جنيه للقطعة... الآن نخرج من منطقة السوق هذه كي نتوغل بين مجموعة من العشش الصفيح، أو المصنوعة من البامبو وبقايا الأخشاب.. الأرض مبتلة تغوص فيها قدماءك.. مزيج من الوحل وبقايا الغسيل والمجاري الطافحة... على أبواب العشش تقف نساء قذرات بشعات المنظر يضحكن لي في إغراء...»²، يسلط الكاتب الضوء على المناطق المنكوبة في مصر والمعاناة التي يعيشها سكان تلك المناطق، ومن خلال هذا الفضاء يصور القهر والتعاسة الذي حل بشبرا والذي خلف الأوبئة والأمراض والانحطاط الأخلاقي والآفات... الخ

¹ الرواية، ص 48، 49، 50.

² الرواية، ص 51، 52، 53.

يقول السارد على لسان "جابر": «ثمة شخص جمع الأوغاد والخاملين والأفاكين وفاقدي المهمة من أرجاء الأرض في وطن قومي واحد هو مصر...»¹، فالتركيب العمراني لمدينة شبرا يعتبر تركيبا شعبيا بكل معنى الكلمة، طغت عليه ملامح البناء الفوضوي العشوائي وهذا أدخل الناس في حالة من الإحساس بالضعف والكآبة والوهن، والتشوه الكبير في المكان الديستوبي لعب دورا كبيرا في تشويه عقلية سكان شبرا، فقد طغت عليهم مشاعر التشاؤم وعدم الرضا وفقدان الأمل والقلق وحتى تمنى الموت.

مدينة التخلف والانحطاط جعلت من شخصياتها شخصيات هشة ذات تشوهات جسدية ونفسية، وأبرزت أفرادا غير سوية تنحصر تصرفاتهم في العنف والتعدي والشجارات وإطلاق مسبات سوقية، طل هذا بسبب نقص الثقة بإمكانية تغيير هذه الأوضاع المزرية، ولقد استطاع الكاتب تصوير الشخصيات الديستوبية من خلال المكان التي تقيم فيه، والذي أثر سلبا على جميع جوانبهم الجسدية والنفسية والاجتماعية... مما جعلها شخصيات محبطة يائسة تفتقر لأدنى مقومات الحياة، لا تحب وطنها وتتمنى الرحيل إلى مكان أفضل وحياة أفضل وهذا شيء مستحيل بالنسبة لهم، لا يتحقق إلا في أحلامهم.

رابعا: الصراع

قامت رواية "يوتوبيا" على مدينتين أساسيتين هما يوتوبيا و ديستوبيا (شبرا)، وكل مدينة منهما تمثل لوحة فنية جمالية تصور القضايا الاجتماعية والاقتصادية في مصر، كما تمثل هاتين المدينتين ثنائية ضدية انبثق منهما صراع طبقي، الصراع بين فصيلتين أحدهما لا يمانع في إبادة الثاني تماما من الخارطة المصرية، وفي خضم هذا الصراع الطبقي تتسارع أحداث الرواية حينما يقدم أحد أبناء يوتوبيا المترفين بدافع الملل على كسر روتين حياته الباذخة، من خلال القيام بتجربة فريدة من نوعها وهي صيد الآدميين وبتر أعضاءهم لجلبها كتذكار، ومن هنا تبدأ مرحلة نشوء الصراع حينما يسافر الشاب اليوتوبي وصديقه إلى أرض الأغيار.

يتزايد الصراع عندما ينكشف أمرهما وهما متتكرين من قبل أصحاب ديستوبيا، ويقوم الشاب الديستوبي "جابر" بمساعدتهما ليعودا إلى يوتوبيا بدون أي خسائر.

وتبدأ مرحلة الذروة عندما يقوم الشاب اليوتوبي "علاء" بقتل "جابر" وقطع يده وأخذها معه إلى يوتوبيا ليتباهى بذلك، يتفاقم الصراع بين الطبقتين عندما ينكشف أمر مقتل "جابر"، فهذا الأمر جعل أصحاب المجتمع الديستوبي يغضبون ويقوموا بالحرب ضد المجتمع اليوتوبي انتقاما للشباب الذي قتل على أيديهم، وتنتهي

¹ الرواية، ص 80.

الرواية بحدوث الحرب فعلا، يبرهن الكاتب هذا الصراع الطبقي بأغنية شعبية كشكل صريح لما يحدث في مصر، يقول:

«إحنا شعبين.. شعبين.. شعبين

شوف الأول فين والثاني فين؟

وآدي الخط ما بين الاثنين ينفوت

إنتم بعثوا الأرض بفاسها.. بناسها

في ميدان الدنيا فكيتوا لباسها

بانة وش وضهر..

بطن وصدر..

والريجة سبقت طلعة أنفاسها

واحنا ولاد الكلب الشعب

إحنا بتوع الأجل وطريقه الصعب

والضرب ببوز الجزمة وبسن الكعب

والموت في الحرب...»¹.

عبد الرحمان الأبوندي

¹ الرواية، ص141.

خاتمة

وفي نهاية هذا البحث أقدم أهم النتائج التي توصلت إليها:

- تعد الشخصية الروائية من بين أهم المقومات الأساسية التي يقوم عليها العمل السردي، إذ هي مصدر الأحداث ومنها تتفرع كل العناصر السردية الأخرى.
- من أهم الأسس التي استخدمها الكاتب في بناء شخصياته، التحرر من كل القيود وفق أفكار حديثة تميزت بها هذه الشخصيات، لتجسيد الواقع الذي آلت إليه مصر من خلال صورة خيالية.
- بنى الكاتب شخوصه بطريقة ذكية، لتسليط الضوء على الفجوة الواقعة بين الأغنياء والفقراء وتأثيرها على المجتمع.
- بُنيت رواية يوتوبيا على شخصيتين أساسيتين هما "علاء" الذي مثل الطبقة الأرستقراطية، و"جابر" الذي مثل الطبقة البروليتارية، وقد عكس كل منهما الجوانب الجسدية والنفسية والاجتماعية والفكرية لأصحاب تلك المجتمعات.
- ارتكزت رواية يوتوبيا في مجملها على الموضوعات الاجتماعية والأخلاقية، ويبرز هذا من خلال العناصر التي تطرق إليها "أحمد خالد توفيق" كالطبقية وتزييف الوعي والانحلال الديني والاخلاقي وطمس الهوية المصرية، العنف واللامبالاة.
- قضية الصراع الطبقي والفوارق الاجتماعية في الرواية، من بين أهم الأسباب التي أفرزت مجتمعا يعاني شخصياته من اضطرابات نفسية وتشتت فكري.
- اتخذ الكاتب من المكان وسيلة يعبر بها عن الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي ستشهده الساحة المصرية في المستقبل، ومدى انعكاسه على أحوال الشخصيات.
- وفي الأخير أرجوا أن يوفقني الله في هذه الدراسة.

ملحق

أولاً: التعريف بالكاتب "أحمد خالد توفيق"

الدكتور "أحمد خالد توفيق" كاتب مصري ولد بمدينة طنطا بمصر في 1962/10/06م، بدأ دراسته في مدينته ثم التحق بكلية الطب في جامعة طنطا وتخرج عام 1985م، وحصل على الدكتوراه في المناطق الحارة عام 1997م من نفس الجامعة، ثم عيّن مدرّساً في كلية الطب بجامعة طنطا.

هو واحد من الكتاب الذين يمتلكون بكتاباتهم تلايب القارئ ليقترح عوالم لم يعرفها أو يراها من قبل، وتميل أجواؤها إلى الإثارة والخيال والرعب الخالص، من خلال لغة رشيقة مختلفة تنثر من خلالها حبكة درامية لروايات تربي عليها أجيال وأجيال، كما يعتبر "أحمد خالد توفيق" أديب الشباب الأول في الوطن العربي، والذي حُبب الكثيرين في القراءة برواياته المشوقة وأسلوبه المتميز والساخر وشخصياته الفريدة، كما اشتهر أيضاً بكتابته لمقالات سياسية واجتماعية في العديد من الصحف والمجلات العربية مثل: اليوم الجديد، التحرير الاخباري، وإضاءات...

كما أنه كان محباً للترجمة وقدم ترجمة للروايات الثلاثة: نادي القتال، ديرمافوريا، وكتاب المقابر، بالإضافة إلى ترجمة الرواية الطويلة (أعداء الطائرة الورقية) للأفغاني خالد حسيني إلى رواية مصورة.

أثرت دراسته للطب على كتاباته وشخصياته، فأول شخصية له هو العجوز "رفعت اسماعيل" وكان طبيباً لأمراض الدم، كذلك ناقش فترة التكليف للطبيب في المناطق الريفية في كتابه الساخر (الطريق في طب الريف)، ويتمتع "أحمد خالد توفيق" بثلاث ميزات أدبية أساسية هي:

- أسلوبه السهل الشيق والذي يكسب العمل إيقاعاً سريعاً.

- ثقافته الموسوعية العالية.

- أفكاره المبتكرة بالنسبة لسياق الرواية العربية.



تزوج "أحمد خالد توفيق" من طبيبة اسمها "منال" ولديه منها ابن اسمه "محمد" وابنة اسمها "مريم" وتوفي في 2018/04/02م، إثر أزمة قلبية مفاجئة، أملت به عن عمر يناهز 55 عاما.

- من أشهر أقواله:

- هل تعرف لماذا صار الجاحظ هو الجاحظ والمتنبى هو المتنبى وتشارلز ديكنز هو تشارلز ديكنز؟ كان الأمر سهلا بالنسبة لهم لأنه لم يكن في بيوتهم هاتف.

- في حياة كل إنسان لحظة.. لا تعود الحياة بعدها كما كانت قبلها.

- من أهم أعماله:

- رواية يوتوبيا صدرت عام 2008.
- رواية سنجة صدرت عام 2012.
- رواية مثل إيكاروس صدرت عام 2016.
- رواية ممر الفئران صدرت عام 2016.
- رواية شآبيب صدرت عام 2018.
- بالإضافة إلى مجموعات قصصية: قوس قزح، الآن نفتح الصندوق، حظك اليوم.
- ومقالات: زغازيع، فقاقيع، ضحكات كثيفة.¹

¹ ينظر، ويكيبيديا الموسوعة الحرة، <http://ar-m-wikipedia.org>، يوم 2024/02/03م، سا33:18.



تعد رواية يوتوبيا من أشهر أعمال الدكتور "أحمد خالد توفيق" والتي صدرت عام 2008م، وقد جاءت في 192 صفحة، تدور قصتها حول مستقبل مصر أي الحالة التي وصلت إليها مصر سنة 2023م، حيث تتحول إلى طبقتين، طبقة بالغة الثراء وطبقة فقيرة فقرا مدقعا، في حين أن الطبقة الوسطى قد اضمحلت تماما، وقسمت الرواية إلى خمسة أجزاء.

تبدأ الرواية بجزئها الأول الذي حمل عنوان الصيد، وهو علاء ابن مراد بك رجل أعمال شديد الثراء، ووالدته لارين، يعيش علاء في مدينة يوتوبيا التي كونها الأغنياء للهروب من وحش الفقر، وهي مدينة معزولة عن العالم، في مدينة الأحلام يوتوبيا يوجد كل أنواع الترف ويستطيع سكانها ممارسة أي شيء بدون قيود، وقد تحرر الأبناء فيها من سلطة الآباء، ويمارسون كل أنواع المحرمات من تعاطي المخدرات وممارسة الفاحشة والقتل كذلك، في الجانب الآخر نجد الجزء الثاني بعنوان الفريسة وهو شاب من مدينة شبرا حيث يعيش الأغنياء وهم طبقة الفقراء الذين يعانون من الجوع و اليأس وفقدان الأمل، يعيش سكانها أزمة اقتصادية لا مثيل لها فقد تخلت الحكومات على هذه الطبقة وأصبحوا يقتاتون من جثث الحيوانات والحشرات والفضلات، في الجزء الثالث يذهب علاء وصديقه إلى أرض الأغنياء لصيد أحد من هناك واحضار تذكارات كما فعل أصدقاؤه من قبل بداعي كسر الروتين والملل الذي يعيشوه في يوتوبيا، وخلال تواجده هناك يتعرف علاء على جابر الذي ينقذه من البلطجية ويحاول جابر أن يساعده للعودة إلى يوتوبيا، يقيم علاء وصديقه في كوخ جابر الذي يعيش مع أخته صفية وهي فتاة صغيرة ومريضة بالسل، في الجزء الرابع تشتد الأحداث بين علاء وجابر ويقوم علاء باغتصاب صفية ويهددها بقتل أخيها إن أخبرته بذلك، في الجزء الخامس والأخير يأخذ جابر علاء إلى أحد الأنفاق التي تؤدي مباشرة إلى يوتوبيا وعند وصولهم مباشرة يقتل علاء جابر ويأخذ جزء من جسده كتذكارات، يعود علاء إلى يوتوبيا وتعود الحياة كما كانت لكن يحدث ما لم يكن في الحسبان، البايرو الذي تعيش منه يوتوبيا يسرق ويستبدل بمياه المجاري وتنتهي الرواية بحدوث انقلاب من قبل سكان شبرا على مدينة يوتوبيا بعدما علموا بخبر وفاة جابر، وقد ترك الكاتب النهاية مفتوحة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش

المصادر:

1. أحمد خالد توفيق "يوتوبيا"، دار بلومزبري - مؤسسة قطر للنشر، الدوحة، قطر، ط8، 2018م.

المراجع باللغة العربية:

1. أبو نصر محمد الفراء، آراء أهل المدينة الفاضلة، مطبعة السعادة، مصر، ط1، 1906م.

2. أحمد طالب، الفاعل في المنظور السيميائي، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر، ط1، 2002م.

3. أحمد عكاشة، علم النفس الفسيولوجي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط5، 1977م.

4. بان البناء، البناء السردى في الرواية المعاصرة، عالم الكتب الحديث للنشر و التوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2014م.

5. حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء الزمن الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.

6. حنا خباز، جمهورية أفلاطون، دار القلم، بيروت، لبنان، ط6، 2000م.

7. رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، دار مجدلاوي للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2006م.

8. صبحية عودة زعرب، غسان كنفاني، جماليات السرد في الخطاب الروائي، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 2006م.

9. عادل ضرغام، في السرد الروائي، دار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2010م.

10. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية "البحث في تقنيات السرد"، دار عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1998م.

11. عبدالقادر أبو شريفة، حسين لافي قزق، مدخل إلى تحليل النص الأدبي، دار الفكر ناشرون وموزعون، عمان، الأردن، ط4، 2008م.

12. عبدالله خمار، تقنيات الدراسة في الرواية "الشخصية"، دار الكتاب العربي، الجزائر، (د ط)، ديسمبر، 1999م.
 13. عدي جاسم أحمد، أنماط الشخصية ودورها في البناء السردى في روايات "محسن الرملي"، دار غيدا للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2017م.
 14. عزالدين اسماعيل، الأدب وفنونه دراسة ونقد، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط9، 2013م.
 15. علي عبد الواحد وفي، المدينة الفاضلة للفراي، نهضة مصر للطباعة و النشر، مصر، 1986م.
 16. غريد الشيخ، الأدب الهادف في قصص وروايات "غالب حمزة أبو الفرج، قناديل للتأليف والترجمة والنشر، عمان، الأردن، ط1، 2004م.
 17. محمد بوعزة، تحليل النص السردى وتقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2010م.
 18. محمد حسين مهدي، المدينة الفاضلة في فلسفة الفراي وموقف الإنسان منها، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2014م.
 19. محمد عبدالغني المصري، تحليل النص الأدبي بين النظرية والتطبيق، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2002م.
 20. محمد علي سلامة، الشخصية الثانوية ودورها في المعمار الروائي عند "نجيب محفوظ"، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، ط1، 2007م.
 21. محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2001م.
 22. نادر أحمد عبد الخالق، الشخصية الروائية بين "علي باكثير" و"نجيب الكيلاني" دراسة موضوعية وفنية، دار العلم والايمان للنشر والتوزيع، دسوق، مصر، ط1، 2010م.
- المراجع المترجمة :
1. آن ماري توماس، كيث بوكور، المرجع في روايات الخيال العلمي، تر: عاطف يوسف محمود، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2010م.

2. تزفيتان تودوروف، مفاهيم سردية، تر: عبدالرحمان مزيان، منشورات الاختلاف، مديرية الآداب والفنون، الجزائر، ط1، 2005م.
 3. توماس مور، يوتوبيا، تر: أنجيل بطرس سمعان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط2، 1987م.
 4. جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، مصر، ط1، 2003م.
 5. ستيس ولتر، تاريخ الفلسفة اليونانية، تر: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة للنشر، مصر، 1984م.
 6. فيليب هامون، سيميولوجية الشخصيات الروائية، تر: سعيد بنكراد، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 2013م.
 7. لايمان تاور سارجنت، اليوتوبية "مقدمة قصيرة جدا"، تر: ضياء وراذ، مؤسسة هذاوي للتعليم والثقافة، مصر، ط1، 2016م.
 8. ماريا لويزا برنيري، المدينة الفاضلة عبر التاريخ، تر: عطيات أبو السعود، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1987م.
- الرسائل العلمية :
1. . سناء طلبة، نور الهدى تقوى بن بودريو، بنية الشخصية في رواية "البيت الدافئ" لخولة القزويني، مذكرة لنيل شهادة الماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي، 2019م/2020م.
 2. آمال مسعودي، حادثة السرد والبناء في رواية "ذاكرة الماء" لواسيني الأعرج، مذكرة ماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المسيلة، الجزائر، 2007م/2008م.
 3. آيات شفيق سعيد عموص، المناحي الفنية في رواية "يوتوبيا" لأحمد خالد توفيق، أطروحة ماجستير، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2021م.
 4. حياة فرادي، الشخصية في رواية "ميمونة" لمحمد علي بابا، مذكرة لنيل شهادة الماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2015م/2016م.

5. ضيف الله أسماء، جبالي جهاد، بنية الشخصية في رواية "نساء في الجحيم" لعائشة بنور، مذكرة لنيل شهادة الماستر، كلية الآداب واللغات، جامعة حمه لخضر، الوادي، 2017م/2018م.
6. فايزة بوشبوط، بنية الشخصية في رواية "أرخيل الذباب" لبشير المفتي، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص أدب جزائري، جامعة 8 ماي 1945م، قلمة، 2019م.
7. منيرة برباري، بناء الشخصية في رواية "عرش معشق" لربيعة جلطي، مذكرة لنيل شهادة الماستر، تخصص أدب حديث ومعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2014م/2015م.

المعاجم و القواميس:

1. عبدالله البستاني، معجم البستان، ج2، المطبعة الأميركية، بيروت، لبنان، 1930م.
2. لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، لبنان، ط1، 2002م.
3. محمد حسين الطباطبائي، الميزان في تفسير القرآن، ج11، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط1، 1997م.

4. المجلات:

5. آسيا جريوي، سيميائية الشخصية الحكائية في رواية "الذئب الأسود" لحنا مينة، أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، مجلة مخبر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، العدد السادس، 2010م.

المواقع الإلكترونية:

1. عامر غرايبة، الشخصية الروائية (وظيفتها أنواعها سماتها)، مدونة عامر غرايبة إطلالة على الواقع والتحويلات، الأردن (د ط)، (د ت)، -[https://maamri-ilm2010.yoo7.com/t2472-](https://maamri-ilm2010.yoo7.com/t2472-topic)
topic

2. <http://wiki.org.-m-wikipedia://.http> - ويكيبيديا الموسوعة الحرة،

فهرس المحتويات

الصفحة	المحتوى
	شكر وعرفان
	إهداء
أ-ب	مقدمة
	مدخل: لمحة عن ثنائية اليوتوبيا و الديستوبيا
4	تمهيد.
5	أولاً: مفهوم اليوتوبيا.
8	ثانياً: مفهوم الديستوبيا.
	الفصل الأول: بنية الشخصية الروائية
12	تمهيد.
13	أولاً: تقديم الشخصية الروائية.
15	ثانياً: أنواع الشخصيات الروائية.
24	ثالثاً: أبعاد الشخصية الروائية .
29	رابعاً: وظائف الشخصيات الروائية.
31	خامساً: علاقة الشخصية بالمكونات السردية الأخرى.
	الفصل الثاني: بنية الشخصية في رواية "يوتوبيا " لأحمد خالد توفيق
37	أولاً: مفهوم بنية الشخصية الروائية.
38	ثانياً: الشخصيات في رواية يوتوبيا وأبعادها.
64	ثالثاً: أثر المكان على الشخصيات.
66	رابعاً: الصراع.
69	الخاتمة.
71	الملحق.
76	قائمة المصادر والمراجع.
81	فهرس المحتويات.
83	ملخص الدراسة.

ملخص الدراسة

ملخص:

تطرق هذا البحث المعلنون بـ "بنية الشخصية في رواية يوتوبيا" لأحمد خالد توفيق إلى دراسة بنية الشخصية وأبعادها وكيفية توظيفها وعلاقتها بالحدث والمكان والزمان، وقد سلّط الضوء على الفكر اليوتوبي والديستوبي ومدى تأثيرهما على نفسية الشخصيات وتركيباتهم الاجتماعية في هذه الرواية، والتي ربطها الكاتب بالصراع الطبقي.

الكلمات المفتاحية: اليوتوبيا – الديستوبيا – البنية – الشخصية – الصراع.

Abstract:

This research, entitled the structure of personality in the novel youtopia by ahmed khaled toufik, tackles the study of the personality structure, its dimension, how it is used, and its relationship with event, tome and place. we shed light on youtopia and dystopia thinking and the extent of their influence on the psychology of personalities and their social formation in this novel. Which the author linked to the conflict between social classes.

Keywords: utopia – dystopia – structure – personality – conflict.